المحاضرة التمهيدية

عناصر المحاضرة

١. **المعلومات العامة عن المقرر**

٢. **محتوى المقرر.**

٣. **أهداف المقرر.**

٤. **المصادر والمراجع**

٥. **الاختبارات والواجبات والمنتديات.**

المعلومات العامة عن المقرر:

القسم

الدراسات الاجتماعية / التاريخ

اسم المقرر:

النظم الاسلامية

المتطلب السابق :

عدد الساعات : ٢

طبيعة المقرر: نظري.

أهداف المقرر:

١. التعريف بمراحل التطور التاريخي للدولة الإسلامية.

٢. التعرف على سياسة الخلفاء المسلمين في حكمهم وقيادتهم لشعوبهم في الدول الاسلامية المتعاقبة.

٣. التعرف على الانظمة التي سادت في الدولة الاسلامية مثل النظام السياسي والإداري والمالي والقضائي والعسكري

٤. التعرف على دورالمسلمين التاريخي وجهودهم في بناء الدولة الإسلامية.

٥. التعرف على دور العرب المسلمين التاريخي وجهودهم في بناء الحضارة الانسانية.

٦. الكشف عن الطبيعة الفعلية للدولة الاسلامية ومدى قدرتها على التاقلم والتطور

الاختبارات والواجبات والمنتديات:

١-ستجدون على البلاك بورد ما يوضح ضرورة المشاركة في المنتديات والتي تهدف إلى الإجابة على أكبر قدر ممكن من الأسئلة والاستفسارات وسيخصص لها ١٠ درجات وفق تقييم عدد المرات التي يشارك فيها الطالب – الطالبة.

٢- سيخصص لكم بمشيئة الله وظيفتين (عملين) خلال الفصل الدراسي لكل واحد ٥ درجات.

٣- سيكون هناك ١٠ درجات خاصة بحضور المحاضرات المباشرة، والتي ستحدد لاحقاً من قبل عمادة التعليم عن بعد.

المراجع المقررة:

المرجع الرئيس:

عفاف صبرة ومصطفى الحناوي، النظم الاسلامية

تاج السر احمد حران، النظم الاسلامية

المراجع المساعدة:

١. توفيق سلطان اليوزبكي، دراسات في النظم العربية والإسلامية
٢. حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم، النظم الاسلامية
٣. صبحي الصالح، النظم الاسلامية
٤. ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الاسلامية
٥. عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية
٦. فاروق عمر، النظم الاسلامية
٧. مصطفى كمال الدين حلمي، نظام الخلافة ونشأتها.

محتوى المقرر (خطة المادة):

المقدمة

النظم السياسية الإسلامية

النظام السياسي والاجتماعي عند العرب قبل الإسلام

تنظيمات الرسول (ص) في المدينة المنورة

النظام السياسي للدولة العربية الإسلامية

الخلافة

الوزارة

التنظيم الإداري: تطوره، فلسفته وأهدافه

التقسيمات الإدارية

الولاية

الدواوين

الكتاب

النظام القضائي

القضاء

النظر في المظالم

الحسبة

النظام المالي

التدابير المالية في عهد الرسول (ص)

مالية الدولة

النقود

المكاييل والموازين

النظام العسكري والأمني

الجيش

الشرطة

النظام الاجتماعي

محتوى المقرر:

المحاضرة الأولى: النظم السياسية الإسلامية

١. **النظام السياسي والاجتماعي عند العرب قبل الإسلام**

٢. **تنظيمات الرسول (ص) في المدينة المنورة**

المحاضرة الثانية: النظام السياسي للدولة العربية الإسلامية

الخلافة:

١. **معنى الخلافة**

٢. **نشأتها**

٣. **خصائصها**

٤. **الشروط الواجب توفرها في الخليفة**

٥. واجبات الخليفة

المحاضرة الثالثة: الخلافة:

تطورها في عهد الراشدين والأمويين والعباسيين

المحاضرة الرابعة: الوزارة

معنى الوزارة

نشأة الوزارة

التطور التاريخي للوزارة

انواع الوزارة

المحاضرة الخامسة: التنظيمات الادارية

١. (الولاية) الامارة على البلدان

٢. الدواوين

٣. الكتاب

المحاضرة السادسة: تابع التنظيمات الادارية

المحاضرة السابعة: النظام القضائي

١. القضاء

٢. النظر في المظالم

٣. الحسبة

المحاضرة الثامنة: تابع النظام القضائي

المحاضرة التاسعة: النظام المالي

مصادر بيت المال

١- الزكاة والصدقة.

٢- الخراج.

٣- الجزية.

٤- الغنيمة والفيء.

مصارف بيت المال

المحاضرة العاشرة:تابع النظام المالي

النظم الاقتصادية

المحاضرة الحادية عشرة: النظم العسكرية

الجيش

١. **في عهد الراشدين**

٢. **الامويين**

٣. **العباسين**

٤. **وحدات الجيش واصنافه**

٥. **اسلحة الجيش**

٦. **البحري**

المحاضرة الثانية عشرة: تابع النظم العسكرية

الشرطة

المحاضرة الثالثة عشرة: النظام الاجتماعي

١. **الاسرة**

٢. **المرأة**

٣. **الرق**

٤. **عناصر السكان**

٥. **الاعياد والمواسم والمناسبات والاحتفالات**

المحاضرة الرابعة عشرة: المدن والحواضر الاسلامية

عوامل ازدهار المدن

المدن الاسلامية القديمة

الحواضر الاسلامية

==========

المحاضرة الأولى

النظم السياسية الإسلامية

١. النظام السياسي والاجتماعي عند العرب قبل الإسلام

٢. تنظيمات الرسول (ص) في المدينة المنورة

١-النظام السياسي والاجتماعي عند العرب قبل الإسلام

كانت القبيلة العنصر الذي قامت علية الحياة العربية في جزيرة العرب قبل الاسلام، ومع انه وجد امارات وممالك في بعض انحاء الجزيرة العربية مثل دولة سبأ ومعين وحمير التي ظهرت في اليمن. إلا ان القبيلة ظلت دعامة الحياة السياسية فيها. ولكن هذا النظام القبلي لم يؤد الى قيام وحدة سياسية للعرب قبل الاسلام، وإنما ظل العرب في الجاهلية منقسمين الى وحدات سياسية قبلية متعددة لا يربط بينها رابط واحد، وإنما ظل افراد كل قبيلة مرتبطين مع بعضهم البعض برابطة الدم والحلف والولاء. وكان لكل قبيلة مجلسها وهذا المجلس يتكون من شيوخ العشائر. على سبيل المثال كان لقريش في مكة قبل الاسلام مجلسها الذي عرف بالملأ وكان يعقد اجتماعاته في مكان عرف بدار الندوة.

كان المجلس ينظر في الامور التي تهم قبيلة قريش ومدينة مكة وكانت تناقش فيه قرارات السلم والحرب وتُعقد فيه المعاهدات التجارية والتحالفات القبلية وغيرها من الشؤون اليومية وكانت اكثر قراراته نافذة.

كان يرأس القبيلة شيخها الذي يتمتع بمؤهلات وقدرات خاصة ميزته عن اقرانه ليقود العشيرة. ومن هذه المؤهلات: الفروسية والكرم والنخوة وكان على شيخ القبيلة ان يسهر على راحة قبيلته وان يشارك افرادها المسرات والنوائب. وفي المقابل كان للشيخ حقوق على ابناء قبيلته يلتزمون بها. مثل طاعته واحترامه وتوقيره. وكان لشيخ القبيلة النصيب الاكبر مما تحصل عليه القبيلة في غزوها. وقد جمعه احد الشعراء في البيت التالي

لك المرباع منها والصفايا وحكم والنشيطة والفضول

- **تنظيمات الرسول (ص) في المدينة المنورة**

اولا: دور المسجد في ارساء قواعد الدولة الاسلامية

ثانيا: المؤاخاة بين المسلمين

ثالثا: صحيفة المدينة (دستور المدينة)

رابعا: قواعد تربوية وأخلاقية لتنظيم العلاقة داخل المجتمع الاسلامي

بقيام الدعوة الاسلامية وبعد هجرت الرسول (ص) الى المدينة المنورة، قامت دولة الاسلام في يثرب، والتي اختلفت عما سبقها من الكيانات السياسية اختلافا جذريا في المنشأ، والمنهج والأهداف. وكان اول ما ميزها عن الاشكال السياسية السابقة انها جعلت امور الناس وسياستهم راجعة الى نظام الاسلام وشرعة، وركنت في تطبيق ذلك الى سلطان العقيدة، وما يبعثه في نفوس المؤمنين من القيم الروحية التي تجعل الامتثال لأمر الاسلام وطاعة من يمثله في رعاية البشر، وسياستهم ضربا من العبادة.

ولقد ارسى الرسول دعائم المجتمع الاسلامي الاول، فأقام امة الاسلام، وارسى قواعد بنيان الدولة الاسلامية الاولى دولة المدينة على الاسس التالية:

اولا: دور المسجد في ارساء قواعد الدولة الاسلامية

كان بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة الدعامة الاولى والأساسية في بناء المجتمع الاسلامي وإرساء قواعده، فقد اصبح المسجد مكان للعبادة في المقام الاول، ثم بعد ذلك مكانا لكل امر يهم المسلمين. فقد كان جامعة يتلقى فيها

المسلمون تعاليم الاسلام وتوجيهاته، ومركزا للإدارة والحكم، ومنتدى تلتقي وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما حدثت بينها نزعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون ومنطلق السرايا والغزوات، وبرلمانا لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية، ومع هذا كله كان بيت سكن فيها عدد كبير من الفقراء المهاجرين الذين لم يكن لهم في المدينة المنورة دار ولا مال ولا اهل ولا بنون

ثانيا: المؤاخاة بين المسلمين

قام الرسول بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. ومعنى هذا الإخاء ان تذوب عصبيات الجاهلية فلا حمية إلا للإسلام، وان تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم احد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه.

وقد جعل الرسول هذه الاخوة عقدا نافذا، لا لفظا فارغا، وعملا يرتبط بالدماء والأموال، لا مجرد كلام، وكانت عواطف الايثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الاخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الامثال.

وكانت المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة صائبة حكيمة، وحلا رائعا لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون فقد اراد رسول الله ان يوجد تشريعا يعالج للمهاجرين اوضاعهم ويشعرهم بأنهم ليسوا عالة على

إخوانهم الأنصار وليذهب عنهم وحشة الغربة، ويستأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة وانخرطوا في الحياة أبطل الله سبحانه وتعالى التوارث بالمؤاخاة وأبقى إخوة المؤمنين وانزل في ذلك قوله تعالى ((وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (الانفال٧٥). وذكر ابن عباس ان ما الغي من نظام المؤاخاة هو الارث، اما النصرة والرفادة والنصيحة فباقية. وللمؤاخاة اهمية في بناء المجتمع الاسلامي منها

اولا: أي جماعة تسعى لهدف واحد لا بد من قيام العلاقات بين افرادها على التآخي الذي يجعلهم يقفون بعضهم الى جانب بعض في السراء والضراء، وان هذا التآخي المُنْطلق من العقيدة هو اساس قوة هذه الجماعة، وهو الاساس الذي يمكنهم من تحقيق اهداف الدين في الحياة، وكان من ثماره رضا الله عنهم والتمكين لهم في الارض، وتحقيق النموذج العملي لمبادئ الاسلام في اشخاصهم.

ثانيا: بناء على ما حدث في المؤاخاة، فبوسع المؤمنين في كل عصر ان يتآخوا بينهم على المواساة والنصيحة، ويترتب على مؤاخاتهم حقوق تكفل لهم مواجه التحديات وهم اقوياء.

ثالثا: بالرغم من الايثار النابع من الانصار، فان المهاجرين، ضربوا مثلا أعلى في العفة.

ثالثا: صحيفة المدينة (دستور المدينة)

من اجل تنظيم العلاقات بين المسلمين مع بعضهم البعض، وبين المسلمين مع غيرهم من سكان المدينة المنورة. اصدر الرسول صحيفة ازاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية، والنزاعات القبلية، وهذه الصحيفة عرفت في المصادر القديمة باسم الكتاب، لان الرسول استهله بعبارة: "هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم" . وسمّاه الكتّاب المحدثون الدستور او الوثيقة.

ولأهمية هذه الوثيقة واعتماد الباحثين المعاصرين عليها في جعلها اساسا لدراسة تنظيمات الرسول في المدينة المنورة ونظم الدول الاسلامية وعلاقتها مع الدول والملل الاخرى والنظام السياسي الاسلامي فقد تم تقسيم بنودها على النحو التالي:

اولا: بنود الصحيفة المتعلقة بالمسلمين

١. **تحديد الهوية الاسلامية للجماعة المسلمة، وجعلهم فئة متميزة عن بقية فئات المجتمع الاخرى. "فالمؤمنون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم امة واحدة من دون الناس".**

٢. **المسلمون فئة واحدة تقف على من سعى الى عدوان او فساد بينهم. "المؤمنين على من بغى عليهم، او ابتغى سعيه ظلما، او اثما، او عدوانا او فسادا من المؤمنين وان ايديهم عليه جميعا ولو كان ولد احدهم.**

٣. **ان لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن**

٤. **ان لا يجير مالا ولا نفسا لقريش**

٥. **كل فريق من المؤمنين على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف في فداء او عقل**

٦. **عند وجود خلاف يكون الرسول هو الحكم في الامر، اي ان اجراء الاحكام وتنفيذ نصوص الوثيقة راجع الى الرسول. "وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او شجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله"**

٧. **من تبع المؤمنين من يهود فان له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم**

ثانيا: بنود الصحيفة المتعلقة باليهود

١. **حرية الدين لليهود**

٢. **اشتراك اليهود مع المسلمين بالدفاع عن المدينة المنورة وعلى اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصح والنصر على من حاربهم**

٣. **لا يخرج احد من اليهود إلا بإذن النبي**

وكان من اثر كل ذلك ان تعزز وضع الدولة، ونفذت احكامها الى نفوس الناس ونشأ في يثرب مجتم قائم بذاته منظم على قواعد أساسية تحت قيادة رئيس واحد اجتمعت في يده السلطة الدينية والزمنية هو رسول الله. فهو يتمتع بسلطات ادارية وتنفيذية وقضائية، بل وحتى سلطات تشريعية فجاء في القران الكريم ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) النساء (٦٥)

غير ان الرسول رغم تمتعه بهذه السلطات والصلاحيات الواسعة. كان يشاور اصحابه دائما، فلا يفرض آراءه فرضا

ثالثا: اهمية صحيفة المدينة في النظام السياسي

وتتمثل اهمية هذه الصحيفة في النظام السياسي من خلال النقاط التالية:

١. **تعد هذه الوثيقة اقدم دستور مكتوب**

٢. **نظمت الوثيقة جوانب مختلفة من حياة الناس**

٣. **في الوثيقة مبادئ دستورية عديدة مثل:**

- **تشكيل الامة من حيث العقيدة والدين اشتمل على كل المسلمين حيثما كانوا**
- **تشكيل الامة من حيث المواطنة اشتمل على غير المسلمين في الدولة**

- **فداء الاسرى**
- **وفاء الدين عن الغارمين**
- **حق الحرية في العقيدة والدين**
- **حقوق الجار**
- **حرمة المسلم**
- **تحريم المدينة**
- **عدم اعطاء حقوق الحرمة للآخرين في المدينة إلا بإذن اهلها**
- **المساواة في المعاملات العامة**
- **منع ايواء المجرمين**
- **منع الظلم والعدوان في المال والعرض**
- **منع الصلح المنفرد مع العدو**
- **منع اجارة قريش**
- **القود من القاتل (أي حرمة الحياة)**
- **الاسهام في نفقة الدفاع عن الدولة والوطن**

وهناك مبادئ دستورية اخرى يمكن استنباطها من الوثيقة، وهذه المبادئ ينطوي كل واحد منها على احكام شرعية، وما ورد بها من الفاظ وتعابير قوية يوضح اهمية قبول آراء النبي كزعيم سياسي ومرجع لكل من في المدينة.

وهكذا استطاع الرسول ان يُكوّن امة جديدة، اصبح هو قائدها وصاحب السلطات الدينية والدنيوية فيها.

وترتب على الخلفاء الذين خلفوا الرسول في حكم الدولة الاسلامية مسؤولية وضع نظام متمم لنظم الرسول في حكم الامة الاسلامية، فظهرت مشكلة الحكم ومن سيخلفه في ادارة الدولة الاسلامية

رابعا: قواعد تربوية واخلاقية لتنظيم العلاقة داخل المجتمع المسلم

كان النبي يتعهد اصحابه بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الاخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة، كما رفع معنوياتهم ومواهبهم وزودهم بأعلى القيم والمثل. واستطاع الرسول بمثل هذا ان يبني في المدينة مجتمعا جديدا يعد اروع واشرف مجتمع عرفه التاريخ، وان يضع لمشاكل هذا المجتمع حلا تتنفس له الانسانية الصعداء.

وقد قام هذا المجتمع على مبادئ روحية وأخلاقية تمتزج فيها السياسة بالأخلاق، اذ تحفل آيات القران الكريم وكتب

السيرة والحديث بدعوات الى سير افراد هذا المجتمع على قواعد تربوية وأخلاقية في التعامل مع بعضهم البعض او مع غيرهم، لتكون غاية في تكوين امة يسودها السلام والأمن والاستقرار. والأمثلة على ذلك كثيرة ويكفي ايراد بعض

نماذج منها من احاديث رسول الله مثل الحديث الذي يقول فيه "لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله اخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام". وقوله "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه".

بمثل هذه المعنويات العالية تكاملت عناصر المجتمع الاسلامي الذي اقامه رسول الله في المدينة المنورة، وواجه كل التيارات حتى صرف وجهتها وحول مجرى التاريخ، كما رسخت قواعده بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين المسلمين، وسن قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم ملي بالتعصب والتعالي.

وقد تم بذلك وضع الاسس الاولى لبناء الدولة الاسلامية وكون رسول الله امة واحدة نظم العلاقة بين افرادها، وأصبح قائدها والممسك بزمام السلطة السياسية، ويمكن حصر الاعمال التي كان يقوم بها الرسول في النقاط التالية

- **تلقي الوحي وابلاغه للناس، والاشراف على التطبيق ودعوة الناس للاسلام**
- **كان حاكم دولة يتولى مراسلة الملوك وقيادة الجيوش وعقد المعاهدات، وتنفيذ العقوبات، وجمع الاموال وإنفاقها،**
- **كان عليه الصلاة والسلام يتولى القضاء، والفصل في الدعاوي، والخصومات، وتعيين القضاة والإشراف على تنفيذ الاحكام.**
- **اتخذ عليه الصلاة والسلام من كبار الصحابة مستشارين يستعين بهم في امور الدولة عملا بمبدأ وشاورهم في الامر.**

وبهذه الاجراءات والتنظيمات التي اسفرت عن قيام المؤسسات المختلفة في الدولة الاسلامية. وقد عبر عن هذا الوضع السياسي المستشرق الالماني يوليوس فلهاوزن بقول "وظهرت بين العرب عن طريق الايمان بالله فكرة الرياسة، وقامت حكومة يرأسها نبي الله (ص) وشرع الله، والكلمة فيها لله في كل وظائف الجماعة وتنظيماتها... ورابطة الدين منها لا رابطة الدم اساس الجماعة، وهدفها سيادة الحق والعدل، ولا تمايز فيها بين الامور الدينية والدنيوية".

ومعنى ذلك ان دولة الاسلام التي اقامها رسول الله في المدينة المنورة جعلت امور الناس وسياستهم راجعة الى نظام الاسلام وشرعه.

واكتمل باستقرار الرسول في المدينة، واتخاذها مقرا دائما، اقامة دولة جديدة لها اركانها ومقوماتها، وبعد انتقاله الى الرفيق الاعلى، كان على من جاءوا بعده مسؤولية وضع نظم متممة لنظام رسول الله في حكم الدولة الاسلامية، فظهرت مشكلة الحكم ومن سيخلفه في قيادة هذه الامة والتي ستكون محور حديثنا في المحاضرة القادمة.

==========

- **المحاضرة الثانية**

- **الخلافة**
- **عناصر المحاضرة**

١. **تمهيد**

٢. **معنى الخلافة في اللغة والاصطلاح**

٣. **نشأتها**

٤. **مفهوم الخلافة**

٥. **خصائصها**

٦. **الشروط الواجب توفرها في الخليفة**

٧. **واجبات الخليفة**

- **تمهيد**

- **وضع الاسلام النظم العامة للدولة، ولم يتعرض في كثير من الاحيان الى التفاصيل، وكان من جراء ذلك ان تطورت نظم الحكم والإدارة والتشريع في الدولة الاسلامية حسب الظروف التاريخية، ومقتضيات المجتمع، وتقاليد الامم التي دخلت في الاسلام، ولكن في اطار احكام الاسلام، ومبادئه الاساسية، ومن ثم حظيت الحضارة الاسلامية بنظم وهياكل ادارية تطورت الى درجة رفيعة من الدقة والتنسيق والتفريع ومن اهم هذه النظم وأكثرها شمولا: الإمارة والوزارة والدواوين والجيش والقضاء والنظم المالية والخلافة والتي ستكون مدار حديثنا التالي**

- **معنى الخلافة في اللغة**

- **أن يخلف من قبله أو أن يخلفه من بعده وتجمع كلمة خليفة على خلفاء، وخلائف. ولقد وردت في القرآن الكريم كلمة خليفة، وخلفاء وخلائف في الآيات التالي**

- **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (سورة النور آية ٥٥)**

- **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (الأنعام ١٦٥)**

- **أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الأعراف ٦٩)**

- **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (الأعراف ٧٤)**

وفي القرآن آيتان ورد فيهما لفظ خليفة مرتبط باسم آدم عليه السلام حينا، ثم باسم داود (ع) حينا آخر، ففي سورة البقرة

- **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (البقرة٣٠)**

- **يا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (سورة ص ٢٦)**

ويرى البعض أن معنى كلمة خليفة كما وردة في المصادر الإسلامية هو الوكيل، والنائب والبديل والخلف. وان آدم وداود سميا باسم خليفة، لان كل منهما كان في الأرض نائبا عن الله في هداية الناس، وإنذارهم بأوامر الله سبحانه وتعالى. ولكن هذا التفسير في الآيتين يصدق على الأنبياء ولا يصدق على الخلفاء لعدم صلتهم بالنبوة. فقد أنكر أبو بكر مثلا تسميته خليفة الله وقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله.

- **الخلافة اصطلاحا**

يتضح معنى الخلافة من التعريف الذي أورده الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية وتعريف ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر. فهي عند الماوردي: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا بمعنى أنها رياسة عامة في أمور الدين والدنيا عن النبي (ص).

إما ابن خلدون فيعرف الخلافة بأنها" هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به".

وهذا يعني أن الخليفة رئيسا دينيا وسياسيا نيابة عن الرسول يجمع بين سلطتين، يجمع بين السلطة الدينية باعتباره إماما للمسلمين، والسلطة الدنيوية لأنه ينظر في مصالحهم الدنيوية.

والخلافة كنظام سياسي هي أمر مستحدث حتمته ظروف الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي. فقد واجهت تلك الأمة ما يشبه الأزمة السياسية بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى وانقطاع الوحي، فقد واجه المسلمون صدمة كبيرة بوفاة رسولهم، وشعروا بالحاجة الماسة إلى شخص يتولى أمرهم لاسيما وان الرسول لم يستخلف أحدا من بعده.

ولم يضع نظاما سياسيا ليسير عليه المسلمون من بعده، ولم يحدد شكل الحكم وصفات الحاكم. وكأنما أراد الرسول بذلك إن يترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يصلح لحكمهم من بينهم. فالعرب لا يعترفون بمبدأ الوراثة في الحكم. كما أن السلطة السياسية التي كانت للنبي والمنبثقة عن كونه رسول الله ونبيه، غير قابلة للوراثة، بل هي عائدة لأبناء الأمة ليختاروا من يولونه أمورهم السياسية طبقا لما استقر في مجتمعهم من عرف وتقاليد.

وقد استطاعت الأمة الإسلامية في المدينة أن تتخطى الأزمة السياسية الأولى التي واجهتها بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى وانقطاع الوحي كما استطاعت أن تحسم الأمر في اجتماع سقيفة بني ساعده بالوصول إلى اختيار أبي بكر الصديق إماما وخليفة للمسلمين وبهذا ظهر منصب الخلافة كنظام سياسي إسلامي إلى الوجود.

والخلافة ترادف الإمامة، وهي تختلف في أصولها وخصائصها ووظائفها عن أنظمة الحكم الأخرى فهي تختلف عن النظم السياسية التي عرفتها شعوب الشرق الأدنى القديم والتي كانت تقول بالحق الإلهي للملوك.

فالخلافة تتميز وتتفرد بان أصولها مستمده من القران الكريم وان تطبيقها اختصت به الأمة الإسلامية.

ولان مفهوم الخلافة يمتزج بمفهوم الإمامة فان فقها المسلمين عندما يتحدثون عن الإمامة فإنما يقصدون الخلافة والتي هي قمة الجهاز الإداري والمتمثل في السلطة السياسية للدولة الإسلامية.

ومن هنا فمن المناسب دراسة طبيعة ومفهوم الخلافة وما هي الاسس التي تتم على أساسها عملية اختيار الخليفة وما هو موقع الأمة في اختيار الخليفة وواجبات الخليفة ثم التطور التاريخي للخلافة وصلاحيات الخليفة خلال عصور الدولة الإسلامية

- **مفهوم الخلافة**

ان مفهوم الخلافة ينبع من مفهوم قواعد الاسلام، وهو التلازم بين الدين والحياة ولذا نجد كثيرا من الفقهاء الذين عالجوا موضوع الخلافة يحددون هذا المفهوم بطريقة مباشرة او غير مباشرة فالماوردي يقول في كتاب الاحكام السلطانية: "الامامة موضوعه لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقده لمن يقوم بها في الامة واجب بالإجماع". فالماوردي اذا يراها على انها خلافة النبوة ويراها ايضا كما يراها فقهاء اخرون مثل القاضي ابو يعلى الحنبلي انها واجبة. ويرى الماوردي ايضا ان الخلافة وضعت بإجماع الامة حماية للدين وتوحيدا للكلمة ورعاية للمصالح وانتظام الامور.

وتجدر الاشارة هنا الى ان الفقها المسلمين عندما كتبوا عن الخلافة تحدثوا عنها باعتبار ما يجب ان تكون عليه الخلافة من الناحية النظرية استنادا الى التطبيق الذي عمل به الخلفاء الراشدين. ومن ثم تحدثوا عنها وأفاضوا عن اصولها وعقدها وعدد من يصح بهم عقدها الى غير ذلك من مثل هذه الامور. ولكن واقع الامة الاسلامية وتاريخها يقول ان هناك تغيرات وتعديلات وممارسات اعترت مؤسسة الخلافة عبر مسيرها الطويل ادت الى ظهور هوة بين نظرية الخلافة وبين تطبيق تلك النظرية. وان بعض الفقهاء كانوا يحاولون في كتاباتهم التوفيق بين ما هو حادث فعلا في تطبيق الخلافة وبين نظريتها. فالماوردي مثلا كان يرمي من وراء مؤلفه الاحكام السلطانية الى اثبات حق العباسين في الخلافة على غيرهم من سلاطين آل بويه، كما كان يحاول تبرير السوابق التاريخية وواقع الحال في العالم الاسلامي.

لقد اختلف الفقهاء فيمن يستحق ان يطلق عليه اسم الخليفة ممن يتولى رئاسة الدولة الاسلامية فقد ذهب بعضهم الى كراهة اطلاق لفظ خليفة بعد خلافة الراشدين محتجين بقول الرسول " الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك". ولكن جرى العرف العام منذ صدر الاسلام اطلاق اسم الخليفة على كل من قام تولى زعامة المسلمين وقيادتهم. وقال بعضهم لا بأس ان يطلق علية لقب امير المؤمنين وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل لقيامه بأمر المؤمنين وسمع المسلمين له

- **خصائص نظام الخلافة**

لخصها الفقهاء في الخصائص التالية

١. **يتم اختيار الخليفة بواسطة أهل الحل والعقد (وهم.....) من هم أهل الحل والعقد الذين يختارون الخليفة والشروط الواجب توافرها فيهم هي ١-العدالة الجامعة لشروطها ويقصد بمفهوم العدالة ليس فقط مناقضة الجور والظلم وإنما يقصد به الورع والتقوى٢-العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها ٣- الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم واعرف٤- العلم بأمور الدين والسياسة فضلا عن كونهم من عدول الأمة.**

٢. **يجمع الخليفة بين اختصاصات ذات صفة سياسية وأخرى دينية وتشمل سلطاته السلطة التنفيذية و السلطة التشريعية و السلطة القضائية**

٣. **يعد الخليفة نائبا عن الرسول ولذا كان واجبا عليه تطبيق الشريعة الإسلامية بين المسلمين**

٤. **ان ولاية الخليفة تشمل جميع البلاد الإسلامية**

- **الشروط الواجب توافرها في الخليفة**

حددها الماوردي في ما يلي

١. **العدالة الجامعة لشروطها**

٢. **العلم المؤدي للاجتهاد في النوازل والأحكام**

٣. **سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان**

٤. **سلامة الأعضاء**

٥. **أن يكون حرا في تصرفاته وحركاته وسكناته**

٦. **الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح**

٧. **الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية ارض المسلمين وجهاد العدو**

٨. **النسب القرشي، أي أن يكون من قبيلة قريش وهذا أمر اختلف عليه الفقهاء**

- **واجبات الخليفة**

لقد حصر الماوردي واجبات الخليفة في عدة نقاط كلها تندرج تحت مبدأ ارتباط الجانب الروحي بالمادي في تنظيم حياة الأمة الإسلامية وتلك الواجبات هي

١. **حماية أصول وقواعد الدين الإسلامي، على أصوله المستقرة وما اجمع عليه سلف الأمة ودفع عبث العابثين، وكل من يريد أن يحدث خللا في أمور الدين، وذلك بإجراء العقوبات اللازمة حسب ما تقرره الشريعة الإسلامية**

٢. **حماية ارض المسلمين والدفاع عن الكينونة السياسية للدولة الإسلامية من أعدائها من الخارج وتوفير الأمن للرعية من الداخل**

٣. **إقامة وتنفيذ إحكام الشريعة الإسلامية، بإقامة العدل وعقاب الجرائم حفظا لحقوق الرعية**

٤. **تحصين الثغور بالعدة والقوة الدافعة حتى لا يضفر الأعداء بالمسلمين وأمنهم وأرضهم**

٥. **توفير الظروف الملائمة لنشر الدعوة الإسلامية بجهاد من عادى الأمة الإسلامية ممن يمنعون الإسلام من الانتشار**

٦. **جباية الصدقات والفيء وفقا للشريعة الإسلامية دون خوف أو جور على المكلفين**

٧. **الإنفاق من الموارد المتاحة حسب أوجه الصرف التي حددها الشرع الإسلامي مثل تقدير العطاء وما يلزم بيت المال دون إسراف أو تقتير**

٨. **انتقاء الولاة والعمال الذين يقومون على أعمال الدولة الإسلامية**

٩. **مباشرة أمور الأمة بنفسه والقيام على مصالحها**

١٠. **إقامة حدود الله**

كل هذه الواجبات والمهمات هي في الواقع واجبات سياسة ودينية وقضائية ومالية وإدارية...الخ، وهي كلها مستمدة من طبيعة نظام الخلافة القائمة على مبادئ الإسلام والتي تشرّع للدين والدنيا والتي ترتبط فيها المصالح الدنيوية والدينية وسلطات الخليفة المركبة وهذه مستمدة من الأمة ويظل سلطان الخليفة نافذا ما دام إجماع الأمة معه

ومؤيد له ويبقى واجب الخليفة الأكبر هو إصلاح أمر الأمة الإسلامية ككل، إصلاح أمر دنياهم وإصلاح أمر آخرتهم والحفاظ على كيان الدين وبالتالي كيان الأمة الإسلامية. وتحقيق العدالة بتنفيذ شرع الله وشعائر الإسلام .

- **المراجع المقررة:**
- **المرجع الرئيس:**

١. **عفاف صبرة ومصطفى الحناوي، النظم الاسلامية**
٢. تاج السر احمد حران، النظم الاسلامية

- **المراجع المساعدة:**

١. توفيق سلطان اليوزبكي، دراسات في النظم العربية والإسلامية
٢. حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم، النظم الاسلامية
٣. صبحي الصالح، النظم الاسلامية
٤. ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الاسلامية
٥. عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية
٦. فاروق عمر، النظم الاسلامية
٧. مصطفى كمال الدين حلمي، نظام الخلافة ونشأتها.

==========

المحاضرة الثالثة

الخلافة: تطورها في عهد الراشدين والأمويين والعباسيين

عناصر المحاضرة

١. **تمهيد**
٢. **مؤتمر سقيفة بني ساعده واستخلاف أبي بكر الصديق (ر)**
٣. **أحكام سقيفة بني ساعدة**
٤. **البيعة العامة لأبي بكر الصديق (ر)**
٥. **أسس السياسة العامة التي رسمها أبو بكر**
٦. **العهد إلى عمر بن الخطاب (ر) بالخلافة**
٧. **استخلاف عثمان بن عفان (ر)**
٨. **بيعة علي بن أبي طالب (ر) بالخلافة**

شعر المسلمون عقب وفاة الرسول (ص) أنهم في امس الحاجة إلى رجل يقوم على أمورهم ويحفظ كيات الأمة الناشئة ويقودها إلى الخير والحق لا سيما وأنه لم يوص بأن يخلفه احد، ولم يحدد شكل الحكم وصفات الحاكم من بعده مما أثار تساؤل المستشرق توماس أرنولد بقوله : لماذا أهمل الرسول الحكم بالرغم من عبقريته في التنظيم ولم يخطط لمستقبل المسلمين وأرجع ذلك إلى احتمال إدراكه عليه السلام قوة الشعور القبلي العربي الذي لا يعترف بمبدأ الوراثة في أشكال حياته السياسية البدائية حيث كان يترك لأعضاء القبيلة أمر انتقاء أميرهم الخاص.

والواقع أن عدم وضع النبي عليه السلام نظاما سياسيا لإدارة الدولة بعد وفاته يعود إلى أنه لم يتسلم سلطته السياسية بصفته الشخصية وإنما بصفته رسول الله ولما كانت صفة الرسالة أو النبوة قد انتهت بوفاته لأنه خاتم الأنبياء والنبوة لا تورث فإن السلطة السياسية عنها هي الأخرى غير قابلة للوراثة أو التصرف وتعود بوفاة صاحبها إلى أصحابها الأصليين وهم أبناء الأمة ليختاروا من يولوه عليهم طبقا لما استقر في مجتمعهم من أعراف وتقاليد في هذا المجال .

وقد صور هذا المعنى أبو بكر الصديق بقوله : "لابدّ لكم من رجل يأمركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم"، وأخذ المسلمون يواجهون المشكلة بكل أبعادها استجابة لدعوة أبي بكر القائلة: فلا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم. فالمشكلة التي برزت هي القيادة ومحاولة ملء الفراغ الذي خلفته وفاة الرسول .

وأورد السيوطي في تاريخ الخلفاء عددا من الأحاديث التي تؤكد أنه عليه السلام لم يستخلف أحدا في حياته فالبزار في مسنده

قالوا: " يا رسول الله ألا تستخلف علينا ، قال : إني إن استخلفت عليكم فتعصون خليفتي، ينزل عليكم العذاب " وأخرج البيهقي في رواية قال : لما ظهر علي بن أبي طالب يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف عليكم أبا بكر". ويروي عروة بن الزبير أن العباس عم رسول الله قال: أيها الناس هل عند أحد منكم عهد من رسول الله فليحدثنا، قالوا: لا . فقال : هل عندك يا عمر علم ، قال : لا ، فقال العباس : اشهدوا أيها الناس أن أحدا لا يشهد على رسول الله بعهد عهده إياه قبل وفاته .

وعلى هذا الأساس فإن الرسول ص انتقل إلى الرفيق الأعلى والمسلمون لا يعرفون لهم زعيما وعندئذ حدث الخلاف بين المسلمين في أمرها لكنهم أجمعوا على وجوب إقامة خليفة لرسول الله وسار على هذا الطريق من جاء بعدهم من المسلمين ، ولم يشذ عن هذا المنهج أحد سوى بعض الخوارج والمعتزلة حيث قالوا بالاستغناء عن الخليفة إذا ما صلحت الأمة واتبعت طريق الدين .

ووسط هذا الجو العاصف الذي تركته وفاة القائد والمعلم وجد المسلمون أنهم قد ورثوا دولة تفرض عليهم ظروفها الدينية والسياسية الحفاظ عليها والتفكير في أمرها؛ لذلك أخذوا يتداولون الآراء كل حسب اجتهاده وقدراته العقلية لأن عملية اختيار الخليفة لا يمكن حسرها في عائلة ولا في نظام ، فالنظام السياسي يتطور مع الزمن، والنص يجمده، ومصلحة الأمة يقتضي أن يتطور هذا النظام لتطور أمور الحياة؛ لذا جاءت أحكامه مجملة مما جعل استخلاف كل واحد من الخلفاء الراشدين يتم في طريقة تخالف سابقه ولاحقه.

مؤتمر سقيفة بني ساعده واستخلاف أبي بكر الصديق (ر)

احدث خبر وفاة الرسول هزة عنيفة في المجتمع لدرجة إن رجلا مثل عمر بن الخطاب رفع سيفه وهدد بالقتل من يقول ذلك وكان أبو بكر في أطراف المدينة فحضر مسرعا وكشف عن وجه الرسول وقبله قائلا: بابي أنت وأمي يا رسول الله طبت حيا وميتا ثم خرج إلى الناس قائلا: أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيا لا يموت ثم تلا الآية "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" (آل عمران ١٤٤).

مؤتمر سقيفة بني ساعده واستخلاف أبي بكر الصديق (ر)

وكان الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعده يتشاورون فيما وقع، فاقترح عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق التوجه إلى هناك وكان معهما أبو عبيدة بن الجراح، وفي السقيفة تحدث أبو بكر عن فضل الأنصار وموقع قريش بالنسبة للعرب، وانهم لا يرضون الخلافة في غير قريش ثم امسك عمر بن الخطاب بإحدى يديه بابي بكر الصديق وبالأخرى أبا عبيدة وقال: قد رضيت لكم احد هذين الرجلين أيهما شئتم فقال رجل من الأنصار منا أمير ومنكم أمير فكثر الكلام وارتفعت الأصوات فقال عمر بن الخطاب عن أبي بكر ارتضاه رسول الله لديننا

مؤتمر سقيفة بني ساعده واستخلاف أبي بكر الصديق (ر)

أفلا نرضاه لدنيانا ثم مد يده مبايعا أبي بكر وتابعه الأنصار ما عدى سعد بن عبادة وفي ذلك يقول عمر لقد خشينا ان تركنا القوم ولم تكن بيعة ان يحث الأنصار بعدنا بيعة فيكون فساد.

أحكام سقيفة بني ساعدة

يلاحظ الأمور التالية من اجتماع سقيفة بني ساعده

١. لا يوجد نص لا في القرآن ولا في الحديث على خلافة رجل معين، ولو وجد هذا النص لاتبعه المسلمين ولا استطاع احد منهم ان يخالفه

٢. لم يحدد الرسول الخلافة في قبيلة او أسرة ما ولو عرف شيء من ذلك لما أحجم احد المجتمعين عن إعلانه

٣. اجمع المسلمون على ضرورة الخلافة

٤. إن المسلمين نظروا في قضية الخلافة إلى المصلحة العامة

٦. ان المسلمين في اجتماعهم الأول عرفوا للمهاجرين من قريش فضلهم على سائر المسلمين، وان العرب لا تنقاد إلا إليهم فقبلوا ان تكون الخلافة فيهم لما رأوا في ذلك من المصلحة العامة

٧. ان المسلمين خافوا على أنفسهم التفرقة فاجمعوا على ان يكون لهم خليفة واحد يكون رمزا لوحدتهم

٨. أدرك المسلمون ان بقاء منصب الرئاسة شاغرا مدة طويلة فيه تعطيل لمصالح المسلمين وتهيئة للفتنة ولذلك أسرعوا الى بيعة ابي بكر

٩. تدلنا الأحاديث التي دارت بين الصحابة عند بيعة أبي بكر وبعدها على أنهم بايعوه لسابقته في الإسلام وفضله وسنه، وكان لتأمير الرسول له على الصلاة اكبر الاثر في ذلك

١٠. ان البيعة لا يشترط ان تكون بالإجماع، فإذا تأخر عنها شخص مثل الزبير بن العوام أو رفضها مثل سعد بن عبادة على جلاله وقدرة، فذلك لا يطعن بها بل شاهد على الحرية التي كان يتمتع بها المسلمون.

البيعة العامة لأبي بكر

جلس أبو بكر الصديق في اليوم التالي على المنبر فقام عمر بن الخطاب وتكلم.....(انظر التفاصيل في كتاب النظم الإسلامية لعفاف صبرة ومصطفى الحناوي ص ٥٦-٥٧)

وبعد البيعة العامة في المسجد وقف أبو بكر الصديق خطيبا موضحا برنامجه وطريقة حكمه فقال: "أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة

البيعة العامة لأبي بكر

والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرد الحق عليه أن شاء الله. والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

أسس السياسة العامة التي رسمها أبو بكر

تضمن الخطبة التي ألقاها أبو بكر بعد البيعة العامة قواعد تعد تطبيقا سليما للمثل الإسلامية والمبادئ الأخلاقية التي حددها فقهاء المسلمين، ويفاد منها في مجال السياسة والحكم نوجزها فيما يلي

١. الخليفة ليس خير الناس ولكنه أثقلهم حملا
٢. يطالب الخليفة جميع المسلمين بمساعدته في جميع الأمور التي تفيدهم
٣. السماح للمسلمين بمناقشة إعمال الخليفة في حال اعوجاج سياسته وهذا يدل على نهج الإسلام (الأمر شورى)

أسس السياسة العامة التي رسمها أبو بكر

٤. يؤكد الخليفة على مساعدة لجميع المسلمين وبأنه قوي مع الأقوياء وشديد في طلب الحق مهما كان صاحبه
٥. ضرورة مسارعة المسلمين للجهاد في سبيل الله
٦. تحذير المسلمين من عدم الاقتراب من الفواحش وما نهى الله عنها حتى لا ينالوا عقاب الله
٧. طاعة الخليفة مرهونة بطاعة الله ورسوله
٨. إذا جار الخليفة وعصى الله، فلا بيعة له في رقاب المسلمين ويحل خلعه، وقد صارت هذه من القواعد الكبرى في الفقه السياسي ونظام الحكم

العهد إلى عمر بن الخطاب بالخلافة

عندما شعر ابو بكر بدنو اجله وجد لزاما عليه ان يأخذ من المسلمين البيعة لمن يرتضونه للخلافة، وذلك لخوفه ان يترك الناس بلا خليفة ويكون يوم وفاته كيوم سقيفة بني ساعدة، ولم يرغب ان يعين رجلا بعينه فيفعل ما لم يفعله رسول الله. فطلب من الناس ان يختاروا غيره للخلافة، فذهبوا فتشاوروا فلم يتفقوا على احد، فرجعوا اليه فوكلوه ان يختار لهم. فاخذ يستشير الصحابه مثل عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد واسيد بن حضير وغيرهم فوافقوه الرأي باستخلاف عمر بن الخطاب.

وقد سمع بعض أصحاب النبي بمشاورات أبي بكر وانه يريد استخلاف عمر، فأشفقوا من شدة عمر وغلظته ان يفرق ذلك كلمة المسلمين لذلك دخل طلحة بن عبيدالله عل أبي بكر فقال: "استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك، فسألك عن رعيتك فقال أبو بكر ....أبالله تخوفني؟ إذا لقيت ربي فسألني قلت استخلفت على اهلك خير اهلك".

أملى أبو بكر على عثمان بن عفان عهد عمر بالخلافة فقد جاء فيه: "بسم الله... هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهد بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهد بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، أني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا،

فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله". وقد قرأ على الناس ورضوا به وقالوا سمعنا واطعنا".

ثم دعا ابو بكر عمر بن الخطاب وأوصاه بتقوى الله بالمسلمين خيرا. ويلاحظ ان عهد ابي بكر لعمر بالخلافة يؤكد ان ما قام به ابو بكر متمشيا مع ما رسمته الشريعة وما جا به الاسلام، وما ارتضته ألامه من أسلوب الحكم ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية

١. **تأكيد صحة عقد الخلافة باختيار عمر بن الخطاب والاستفتاء بين أهل الحل والعقد عنه ثم إخباره بالاختيار وموافقته بعد ذلك على إمامة المسلمين**
٢. **تأكيد نظرية وجوب الإمامة فكان الصحابة متفقين على ذلك**
٣. **تأكيد أبو بكر على ضرورة الالتزام بالواجبات الشرعية والمدنية المكلف بها الخليفة والمنصوص عليها في عقد الخلافة**
٤. **وضوح العلاقة العادلة المطلقة والشورى السليمة وبعد الخلفاء عن الأهواء الشخصية**

تقلد عمر ابن الخطاب الخلافة بعد وفاة أبي بكر، وصعد المنبر وأعلن أسلوبه ومنهاجه في الحكم وما تضمنته خطبته تطبيق عقد الخلافة بين الحاكم والمحكوم وبيان ما له وما عليه واهم ما تضمنته الخطبة من موضوعات

١. **بيان دوره أيام الرسول وانه كان طوع يمينه في كل أمر من أمور المسلمين**
٢. **انه كان في عهد أبي بكر عونا ومرشدا له قوي مع القوي ولين مع اللين**
٣. **بين انه رجل صريح ظاهره كباطنه وسره كعلانيته**
٤. **الشدة والقوة لن تكون إلا على من يستحقها من الظالمين**
٥. **أعلن انه سيكون مع أهل السلامة والقصد الين من بعضهم البعض**
٦. **وعد المسلمين بزيادة عطاياهم وأرزاقهم**
٧. **وعدهم بان يكون أبا لأولادهم عندما يخرجون للقتال ويحقق الحماية الواجبة لجميع أفراد الأمة الإسلامية.**

كانت خلافة عمر بن الخطاب غنية بالإحداث المهمة والإصلاحات الإدارية والمالية..... كالفتوحات ... و تأسيس ديوان الجند وبيت المال وتحديد مقدار الجزية وإقرار الخراج.

استخلاف عثمان بن عفان

لم يفكر عمر بن الخطاب بالعهد لأحد بالخلافة ولكن عندما طعن ألح عليه الصحابة بتسمية شخصا للخلافة تجنبا للفتنة فجعلها عمر شورى بين ستة أشخاص هم علي بن أبي طالب عثمان بن عفان عبد الرحمن بن عوف الزبير بن العوام طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم جميعا. (انظر التفاصيل في النظم الاسلاميه لعفاف صبرة ومطفى الحناوي)

وكانت نتيجة شورى ذلك المجلس ان بويع عثمان بالخلافة و تمت بيعة عثمان في الثالث من محرم عام ٢٤هـ. وكلنا يعرف الظروف التي صاحبت خلافة عثمان، والذي كان يسير متبعا وليس مخالفا او مبتدعا

كما يحاول البعض تصويره، ومن المعروف ان تلك الظروف التي عاشتها الأمة عاقت نظام الحكم عن التطور المنشود. فالمعارضة وثورة الأقاليم وأحداث الفتنة كانت كلها من العوامل التي أنهت خلافة عثمان على ذلك النحو الحزين الذي نعرفه. ثم لم يترك عثمان عهدا لمن يكن خليفته من بعده وإنما ترك الأمر للمسلمين حيث تم مبايعة الخليفة علي بن أبي طالب.

بيعة علي بن أبي طالب (ر) بالخلافة

في رواية محمد بن الحنفية عن بيعة والده يقول: كنت مع أبي حين قتل عثمان بن عفان فقام ودخل منزله فاتاه أصحاب رسول الله..... وعرضوا عليه الخلافة ولكنه أبى وقال: لا تفعلوا فاني أكون وزيرا خيرا من أكون أميرا فقالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قل في المسجد حتى لا تكون بيعتي خفية ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، فأما دخل المسجد بايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناس.

وأول خطبة ألقاها حين استخلف دعا الناس إلى التمسك بما في كتاب الله والسير على هديه وتقوى الله، وعمل الخير والابتعاد

عن الشر وفي ذلك يقول: "ان الله عز وجل انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى سبحانه يؤدكم إلى الجنة ان الله حرم حرما غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين. والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم الا بما يجب.....أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه.

حكم الخليفة علي بن أبي طالب مدة أربع سنوات حدثت تغيرات كثيرة في بعض المظاهر السياسية للدولة فقد نقل العاصمة من المدينة المنورة إلى الكوفة بالعراق كما شهدة خلافته صراع بين المسلمين وانقسام كلمتهم كل ذلك أسفر عن زوال حكمه وزالت معها خلافة الراشدين. ومع كل ذلك فقد ظل وفيا للمبادئ الإسلامية. فقد تمسك بالشورى وحق الانتخاب ورفض ان يعهد بالخلافة لأحد من أبنائه قائلا: "بل أترككم كم تركم رسول الله، فلعل الله يجمعكم بعدي على خيركم كما جمعكم بعد نبيكم على خيركم".

==========

المحاضرة الرابعة

الخلافة: تطورها في عهد الأمويين والعباسيين

عناصر المحاضرة

١. **تمهيد**
٢. **بيعة معاوية بن أبي سفيان بالخلافة**
٣. **موقف الأمة الإسلامية من بيعة معاوية بالخلافة**
٤. **ولاية العهد ليزيد**
٥. **وصية معاوية لابنه يزيد**
٦. **مؤتمر الجابية وتحول الأنظار إلى الفرع المرواني من بني أمية**

٧. الخلافة في العصر العباسي

تمهيد

بعد أن انقضى عهد الخلفاء الراشدين حدثت تغيرات كثيرة في نظام الخلافة، فعلي ابن أبي طالب قبل ان يتوفاه الله، والدماء تنزف منه، دخل عليه جندب بن عبدالله فقال له يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع للحسن؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم وانتم باموركم أبصر فقام قيس بن سعد بن عباده وقال للحسن ابسط يدك أبايعك.

وقد بويع الحسن بن علي بالخلافة في١١/ رمضان عام ٤٠هـ، لكن الحسن كان كارها للأمر راغبا في جمع كلمة المسلمين، فتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان كما يرى اليعقوبي

وواقع الأمر أن الحسن بن علي أدرك بثاقب نظره أن بيعته بعد اغتيال أبيه لم تستكمل الخطوات التي تجعل منه خليفة شرعيا للدولة. إذ ان البيعة التي توفرت له قد جاءته من بعض أهل العراق، ولم يوافق عليها بقية الأمة وهي الكثرة الغالبة، ولذا تنازل عنها لمعاوية بعد ان أدرك بذكاء رجحان كفة معاوية مكتفيا بسياسة الأمر الواقع حرصا منه على حقن دماء المسلمين وجمع شملهم.

ومنذ قيام الدولة الأموية، تحول نظام الخلافة إلى ملك عضود قائم على النظام الوراثي على غرار ما كان معروفا عند الفرس والروم ولذا عرف بالهرقلية أو الكسروية

بيعة معاوية بن أبي سفيان بالخلافة

تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة بعد تنازل الحسن عنها ولم يتم ذلك بالمبايعة الحرة والاختيار من جميع الأمة وإنما بايعه أهل الشام فقط الذين كانوا في ولايته وهذه البيعة اختلفت إلى حد كبير عن سابقاتها حيث دخل فيها عنصر القوة والاضطراب بدلا من الاختيار والشورى فحدثت هوة بين المثال والواقع وأخذت الخلافة تتجه نحو الملكية من حيث الأساس الذي تقوم عليه وان ظلت التسمية كما هي. غير ان شخصية معاوية كسرت حدة الخروج عن التقاليد الإسلامية القائمة على الشورى، فقد كان من الصحابة والمجاهدين الأوائل في الفتوحات الإسلامية بالشام حيث عينه عمر بن الخطاب واليا عليها لما عرف فيه من المقدرة والكفاءة وبعد ان خلص

له الأمر واصل نفس السياسة أثناء خلافته وزاد عليها ان أصبح منهجه في الحياة العامة التودد إلى الرعية واجتذابها إلى جانبه بعطاياه وحلمه وتسامحه.

لقد أكدت النظرية السياسة لدى بني أميه ان الخليفة هو خليفة رسول الله لذلك فان طاعته واجبة فهي بمثابة طاعة لله تبارك وتعالى، وعلى الرغم من ذلك فان فكرة السلطة الحاكمة المجسمة في رجل واحد أخذت في الظهور.

واقتضى النظام الجديد الذي مثله معاوية ان يكون الخليفة رجلا ذا مرونة لا يتقيد بالتقاليد الماضية تقيدا تاما، بل يأخذ

من تلك التقاليد ما يناسب العصر الذي وجد فيه ويترك ما عداها، وكان معاوية هو الرجل الذي يستطيع ان يمثل ذلك العصر لما لديه من سعة الصدر والدهاء والقدرة السياسية وغيرها من الصفات التي مكنته من نقل الدولة العربية من ذلك النظام الذي ساد عهد الخلفاء الراشدين إلى النظام الذي سار عليه الأمويين في حكم الدولة الإسلامية. أو بعبارة أخرى من نظام الخلافة القائم على الشورى ويستند إلى الدين إلى نظام الملك القائم على أساس التوريث ويستند إلى الرأي والدين في آن واحد.

موقف الأمة الإسلامية من بيعة معاوية بالخلافة

انقسمت الأمة الإسلامية إلى ثلاثة جماعات

الأولى: أتباع بني أمية وأنصارهم من أهل الشام ومن غيرهم من سائر الأمصار وكان هؤلاء راضين كل الرضى عن هذا النجاح الذي حققه البيت الأموي

المجموعة الثانية هم أشياع علي بن أبي طالب وهم الذين يدينون بالحب والولاء لأبنائه من بعده وهؤلاء يرون أن أبناء علي بن أبي طالب أحق بالخلافة من معاوية وأكثرهم في العراق وبعضهم في مصر.

القسم الثالث: هم الخوارج الذين رفضوا مبدأ التحكيم ورفعوا شعار لا حكم إلا لله، فكانوا أعداء للفريقين وكانوا يستحلون دماء مخالفهم ويرونهم مارقين وقد اخذوا على عاتقهم مقاتلة الدولة الأموية ممثلة في معاوية.

ولاية العهد ليزيد

رأى معاوية أن العامل الأساسي الذي أدى إلى انقسام الأمة انما هو المنافسة على الحكم، فعمل على تلافي ذلك الاختلاف بنقل الحكم من بعده إلى ابنه يزيد وجعله وراثيا، وسار في تحقيق هذه السياسة بمنتهى الحيطة والمهارة فأوعز إلى عماله على الأمصار ان يمهدوا السبيل لأخذ البيعة ليزيد

مما يعد تطورا آخر في نظام الخلافة انتقلت بمقتضاه نهائيا إلى البيت الأموي.

وتشير بعض المصادر إلى أن المغيرة بن شعبة هو صاحب هذه الفكرة فقد اشار بها على يزيد بن معاوية حين دخل عليه وقال له "قد ذهب أعيان رسول الله (ص) وكبراء قريش وبقي أبناؤهم وأفضلهم وأحسنهم رأيا واعلم بالسنة والسياسة ولا ادري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة فأجابه يزيد وترى ذلك يتم؟ قال نعم،

فأخبر يزيد أباه بما قال المغيرة بن شعبة، فاحضره معاوية وسأله عما قال ليزيد فكان جوابه: قد رأيت من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان فأعقد له. فان حدث بك حادث كان كفأ للناس، وخلفا لك فلا تُسْفك دماء ولا تكون فتنة. قال معاوية ومن لي بذل؟ قال اكفيك اهل الكوفة ويكفيك زياد اهل البصرة وليس بعد هذين المصرين احد يخالفك فارجع الى عمالك وتحدث مع من تثق به في ذلك وترى ونرى".

وبدا معاوية يعمل بكل ما اوتي من مقدرة لأخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد فأخذ يكتب لابنه يزيد فاخذ يكتب الى ولاته بالأمصار يدعوهم الى تهيئة الظروف المساعدة لإخراج الفكرة الى حيز التنفيذ واستطاع معاوية بوسائله الخاصة في أن يأخذ البيعة من أهل الشام والعراق ولم يبقى له إلا أهل الحجاز حيث يوجد ابرز أبناء الصحابة الذين يمثلون المعارضة القوية لهذا العمل والذي يمثل عندهم محاولة لتقرير مبد الوراثة في الخلافة وتحويل حق الأمة في الاختيار إلى واجب طاعتها لما يراه الخليفة دون مناقشة أو مساءلة.

ولما أحس معاوية بخطورة الموقف في الحجاز اتخذ الوسائل الكفيلة لمواجهته، فتوجه إلى الحجاز على رأس إلف من جنده في محاوله منه لإرغام المعارضين على الاستجابة لطلبه وذلك لمنع الصراعات التي يمكن أن تنشأ بعد وفاته، خاصة بعد أن عظمت مسؤولية الخليفة بسبب اتساع الدولة الإسلامية وإحاطة الأعداء بهاء من كل جانب فكان من الأفضل تعيين خليفة من بعده تتوحد حوله كلمة الأمة وتجتمع عليه الأمة.

وهكذا نجح معاوية بوضع أساس دستوري جديد يخالف النهج الذي تعارفت عليه الأمة منذ نشأة منصب الخلافة، ولم يظهر ما يعكر صفو هذا النجاح طوال فترة حكم معاوية، ولكن لم يفت على معاوية أن يحذر ابنه يزيد من المتاعب التي قد يتعرض لها عندما تتحول هذه الخطوة النظرية إلى واقع عملي بعد وفاته فأمده بالنصح والإرشاد، موضحا له الأسلوب الأمثل في معالجة هذه المتاعب عند ظهورها.

وصية معاوية لابنه يزيد

تعد هذه الوصية من أهم الوثائق في فن الحكم والسياسة ويزيد من اهميتها انها تضمنت السبل الكفيلة بمعالجة الأوضاع الناجمة عن هذا التطور الذي طرأ على نظام الخلافة بحيث صارت وراثية في البيت الأموي ومما جاء في هذه الوصية

" يا يزيد اتق الله فقد وطأت لك هذا الأمر ووليت من ذلك ما وليت، فان يكن خيرا فانا اسعد به، وان كان غير ذلك شقيت به، فأرفق بالناس وأغمض عما بلغ من قول تؤذي به وتنتقص به، وطأ عليه يهنك عيشك وتصلح لك رعيتك وإياك والمناقشة وحمل الغضب، فانك تهلك نفسك ورعيتك، وإياك وخيرة أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم ولِنْ لهم بحيث لا يروا منك ضعفا ولا خورا، وأوطئهم فراشك وقربهم إليك وأدنهم منك، ولا تهنهم ولا تستخف بحقهم فيهينوك ويستخفوا بحقك ويقعوا فيك، فإذا أردة أمرا فادفع أهل السنة والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى، فشاورهم ولا تخالفهم وإياك والاستبداد برأيك، فان الرأي ليس في صدر واحد وصدق من أشار عليك اذا حملك على ما تعرف، واخزن ذلك عن نسائك وخدمك، وشمر ازارك وتعاهد جندك، وأصلح نفسك تصلح لك الناس ولا تدع لهم فيك فيهم مقالا، فان الناس سراع إلى الشر، واحضر الصلاة فانك إذا فعلت ما أوصيتك به عرف الناس لك حقك وعظمت في أعين الناس، واعرف شرف أهل المدينة ومكة فأنهم اهلك وعشيرتك وأحفظ لأهل الشام شرفهم فأنهم أهل طاعتك واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعدهم فيه منك بالمعروف، فان ذلك يبسط آمالهم، وان وفد عليك وافد من الكُوَر كلها فأحسن إليهم وأكرمهم، فإنهم لمن ورائهم، كما دعا بالمبدأ السياسي

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

بعد وفاة يزيد ارتقى ابنه معاوية الثاني الخلافة بوصية من والده ولكنه قام في الناس خطيبا وأعلن تنازله عن الخلافة بقوله :

ما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم، والله لئن كانت الدنيا خيرا فقد نلنا منها حظا، ولئن كانت شرا فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها، ألا واني قد ضَعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فابتغيت لكم ستة الشورى فلم أجدهم فانتم أولى بأمركم فاختاروا له ما أحببتم ". ثم دخل منزله ولم يخرج منه إلى الناس واختفى عن الأنظار حتى مات.

مؤتمر الجابية وتحول الأنظار إلى الفرع المرواني من بني أمية

أحدثت وفاة معاوية الثاني دون أن يعهد لأحد بالخلافة أزمة خطيرة ، فقد كان أخوه خالد بن يزيد صبيا ، ولم يرض القادة وكبار القوم أن يولي عليهم صبيا في الوقت الذي قويت فيه شوكة عبد الله بن الزبير ولم يبق للأمويين معقل إلا في الأردن ولا أنصار إلا في قبيلة كلب ، حيث رفض زعماء القبائل اليمنية ان يخرج الأمر من بني أمية، ومنعوا مروان بن الحكم من الذهاب الى ابن الزبير لمبايعته وانتهى الأمر بعقد مجلس للشورى يبحثون فيه أمر من يتولى الخلافة.

عقد هذا المؤتمر في الجابية وكان مؤتمرا تاريخية مهما له أعظم النتائج في تاريخ الخلافة استمر انعقاده أربعين يوما وبعد مشاورات ومداولات استقر الرأي على اختيار مروان بن الحكم خليفة للمسلمين لأنه شيخ قريش آنذاك، وسيد بني عبد مناف وكبير بني أمية وابن عم الخليفة عثمان بن عفان وقد دافع عنه وكان من المطالبين في دمه هذا فضلا عما توفر فيه من صفات شخصية مثل التقوى والشجاعة والكفاءة وخبرة بأمور السياسة والحكم تجلت في وصيته لابنه عبدالعزيز بن مروان حين ولاه مصر. وبتولي مروان بن الحكم الخلافة بدأت سلسلة خلفاء الفرع المر واني من بني أمية.

وابتداء من خلافة عبدالملك بن مروان ظهرت أبهة الملك ظهورا بينا فقد تشبه الخلفاء بالملوك، على ان الدين كان معظما عندهم وليس صحيح كما يشاع أن الأمويين تخلوا عن الدين. فقد أكد الخلفاء الأمويون أهمية منصب الخلافة وان الخليفة هو خليفة الله وقد أكد ذلك عبدالملك بن مروان والوليد بن عبدالملك. فقد كان عبد الملك بن مروان خليفة ذا ثقافة عالية

في الأمور الدينية وذا معرفة في تعاليم الإسلام وتقاليده. وكان حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز غرة في جبين ذلك القرن وقد تجلت سياسته في خطبته الذي القاها على الناس بعد ان ولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك حيث قال: "ايها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد (ص)، ألا واني لست بقاضي ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع، ولست بخيركم ولكني أثقلكم حملا، وان الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق". بكلماته هذه أعاد عمر بن عبد العزيز الخلافة إلى ما كانت عليه في عهد الراشدين.

حكم عدة خلفاء من الأمويين منهم يزيد وهشام والوليد٢ ويزيد٣ ثم مروان بن محمد، ودخلت الخلافة الأموية في أيامها الأخيرة في أتون الفوضى والاضطراب والفتن والقلاقل بسب تفشي روح العصبية القبلية ونشاط حركات المعارضة وانغماس بعض الخلفاء في البذخ والترف، بالإضافة إلى المشاكل الناجمة عن ولاية العهد لأثنين أو أكثر مما كان إيذانا بسقوط الدولة الأموية وظهور الدعوة لبني العباس.

الخلافة في العصر العباسي

تطور نظام الخلافة في العصر العباسي، فأصبح الخليفة العباسي تتسم سلطاته بالقداسة، ويستمد سلطانه من الله سبحانه وتعالى، ومن ثم اعتبر الخليفة نفسه يحكم بتفويض من الله لا من الشعب، كما يتجلى ذلك من خطاب الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور الذي قال فيه: "أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وأنا خازنه على فيئه اعمل بمشيئته... فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه.. أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم" . وقوله ايضا: السلطان حبل الله الممدود". لذلك لا عجب ان صارت الألقاب الخلافية المضافة الى كلمة الله تظهر مع قيام الدولة العباسية.
وحاولوا أن يدعموا ذلك بترويج أحاديث نبوية، لم تثبت صحتها، لكنها ساعدت على استمرار الخلافة العباسية مدة طويلة وعلى تمتعها بمركز الزعامة الروحية في العالم الإسلامي حتى بعد سقوطها عام ٦٥٦هـ على يد المغول، بدليل ما يرويه السيوطي إذ يقول: " وخيل للمسلمين ان العالم على وشك الانحلال وان الساعة آتية من قريب وصاروا يؤولون كل ظاهرة على انها تعبير عن سخط الله واتخذوها أدلة على ما يحدث في العالم من انقلاب سيئ لخلوه من خليفة.

وقد استند العباسيون في أحقيتهم للخلافة على أمور ثلاثة هي: حق القوة (الجيش) والكتاب، وحق القرابة من الرسول. فأقاموا سياسة ممزوجة بالدين والملك، وأعلنوا أنهم يريدون إحياء السنة وإقامة العدل وإرجاع الخلافة الحقة بدل من الملك الذي أقامه الأمويين، فأحاطوا أنفسهم بهالة من القداسة وجذبوا الفقهاء والعلماء حولهم وتلقبوا بالأئمة وارتدوا بردة الرسول كرمز لسلطتهم الدينية في المناسبات كصلاة الجمعة والعيدين وتفصيل ذلك على النحو التالي.

فعندما هزم العباسيون الأمويين عام ٧٥٠/١٣٢ كان عليهم تأكيد شرعية حكمهم ليكونوا خلفاء المسلمين الشرعيين. ومن

أجل ذلك اظهروا أنفسهم خلفاء حقيقيين للرسول أكثر من أسلافهم الأمويين، ولهذا أحاط العباسيون حكمهم بهالة دينية وأكدوا على الجانب الديني بشكل كبير. أي أن هذه الدولة ساست العالم الإسلامي سياسة مزدوجة عبر عنها ابن الطقطقا خير تعبير فقال" اعلم.. أن هذه دولة من كبار الدول. ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك. فقد كان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا، والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة".

وفي تأكيدهم على سلطتهم الدينية، أكد العباسيون نظام الوراثة، وبنوا حقهم في الخلافة على قرابتهم من الرسول ﷺ ظهر ذلك في أقوالهم ودعايتهم في أكثر من مناسبة. قال الخليفة العباسي الأول أبو العباس في خطبته الافتتاحية في الكوفة "وخصنا برحم رسول الله وأنبتنا من شجرته.. وانزل بذلك كتابا قال فيه: قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى". وقد روج داود بن علي الفكرة نفسها أيضا في الكوفة فقال "وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد". كما اتخذ العباسيون لقب خليفة رسول الله. وحسب رأي بعض الكتاب (كرون وهايندز) ان أول ظهور لهذا اللقب كان في عهد العباسيين. وظهرت في المكاتبات الرسمية الموجهة لهارون الرشيد عبارات خليفة الله ورسوله وأمين الله على رعيته.

وخاطب أحدهم المأمون على انه خليفة رسول الله وجاء في مدح أحد الشعراء للمتوكل على انه خليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته.

وقد بين العباسيون انه بعد وفاة الرسول كان ينبغي ان تبقى قيادة الأمة الإسلامية في عائلته واتهموا الأمويين باغتصاب الخلافة من أهلها الشرعيين، لذلك من الطبيعي أن يعدوا حكم الأمويين عهد الظلم والاغتصاب، وان يروا في مجيئهم إرجاع الحق إلى أهله. وقد روجوا بين الناس ان الله جعل انتقال الحكم إلى أولي الفضل من عصبة الأنبياء بعدهم كالمكافأة لهم، وانه فرض على المسلمين طاعة آل البيت في محكم كتابه دون أن يطلب النبي(ص) ذلك. وان الله طهرهم واذهب عنهم الرجس ليكونوا خير الحاكمين، وهم الشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

استمر العباسيون في تعزيز الاتجاه الديني وادعوا أنهم جاءوا لإحياء السنة النبوية وإتباع كتاب الله في الحكم. أي أن أساس حكمهم ديني يستند إلى الشريعة لا إلى العرف أو التقاليد العربية. واظهر العباسيون في مراسيمهم التركيز على الأمور الدينية باستخدام البردة والخاتم والقضيب، فصارت بردة الرسول الشارة الأولى للخلافة يرتديها الخليفة في المناسبات العامة كصلاة العيدين والجمعة وفي الجهاد.

ادعى العباسيون أنهم حصلوا على سلطتهم من الله وعدوا الخلافة منصبا دينيا لا مجرد رئاسة دنيوية. وأكدوا أن سلطتهم استمرار لسلطة الخلفاء الراشدين. وعدوا الخلافة إمامة روحية، أي أن الله هو الذي اختار الخليفة وأن سلطة الخليفة مستمدة من الله. وهذا واضح من وصية المنصور لابنه المهدي الذي أكد فيها أن سلطة الخليفة من سلطة الله واعتبر ثورة الناس على الخليفة إنما هي ثورة ضد الله ورسوله " إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا...". وذكّر المنصور الناس أن السلطان حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه القيم.

لقد تبنى العباسيون ألقاباً أخرى مثل ظل الله في الأرض وربما كان يعني الظل أو الملجأ الذي يحتمي فيه المظلومون من الناس ولم يقتصر استعمال هذا اللقب على الخلفاء العباسيين بل تعدى ذلك إلى أفراد من الأسرة العباسية. ويبدو أن أصول هذا اللقب تعود إلى رايتي الثورة العباسية الظل والسحاب . ومعنى ذلك إن الدولة العباسية ستدوم ما دام هناك ظل في الأرض أي حتى قيام الساعة . أما السحاب فهي دلالة على عالمية الثورة العباسية وأنها ستنتشر في كل العالم فالسحاب منتشر في كل العالم.

بل إن الذي يستفاد من هذا اللقب هو المعنى الاصطلاحي ، فيروى أن السلطان ظل الله في أرضه يحتمي فيه كل مظلوم من عباده. والسلطان هنا يعني السلطة والحكومة وبذلك يمكن تفسير النص بأن الدولة العباسية تشبه في ظلها ظل الله فهي تحمي وترعى ضعفاء الناس وتسير في سلوكها سيرة يرتضيها الله تعالى. أما الهدف من وراء استخدام هذا اللقب فهو التأكيد على قدسية الخلافة وأنها مستمدة قوتها من الله وتأييده . ويجب الملاحظة إن اللقب لم يشر في الأصل إلى شخص الخليفة بعينه بل إلى مؤسسة الخلافة . كما يجب أن يؤخذ اللقب بمعناه المجازي ليعني الملجأ والحماية . وفي هذا المعنى فهو مثل اصطلاحات أخرى متشابهة مثل سترمن الله أو ستر الله .

واستخدم العباسيون ألقاباً شخصية أخرى مثل : السفاح ، والمنصور، والمهدي، كالهادي والرشيد والأمين والمأمون والواثق والمتوكل وغيرهم . وكانت هذه الألقاب ذات مسحة دينية مهدوية واضحة في ظل أجواء كثر فيها الإشاعات عن الظهور الوشيك للقائد الصحيح الذي ينهي عهد الظلم والطغيان ويضمن للناس عهداً جديداً من العدالة والرفاه.

ومن الألقاب التي اتخذها الخليفة المأمون لقب إمام، حتى يعطي نفسه سلطة دينية أكثر لأن لهذا اللقب مغزى دينياً أعمق. فالإمام هو "الذي يقود إلى الطريق الصحيح" أو الهادي إلى الطريق القويم. وخلاصة القول كانت ألقاب العباسيين ذات طبيعة تنبؤية ودينية، وقد اختيرت من أجل كسب الناس الذين يرغبون بأوضاع أفضل. فكان المهدي المنتظر مهماً لهؤلاء الناس الذين اعتقدوا أن حكمه سيكون العهد الذهبي. وكان كل خليفة يحاول أن يكسب ولاء الناس وطاعتهم لولي عهده باختيار لقب جديد له.

بدأ الحكم العباسي وراثيا، واقتصر على أهل البيت العباسي دون سواهم، واستمرت ولاية العهد لأثنين وأكثر، مما أدى إلى صراعات وحروب بين المتنافسين على السلطة ساعدت على تصدع بنيان الدولة في أكثر من مرحلة من مراحل تاريخها، فأصبح الصراع السياسي على السلطة احد السمات المميزة للدولة مثل الصراع بين الامين والمأمون.
ووصل الأمر إلى كثرت المكائد والمؤامرات داخل قصور الخلافة، وقيام عناصر اجنبية بدورها في محاولة للسيطرة على الخليفة من خلال الوقوف بجانبه. كما افضى هذا الوضع إلى تمكن بعض هذه العناصر من الاستبداد بالحكم والاستحواذ على الأموال، كما حدث في فترة النفوذ التركي والبويهي والسلجوقي الذي عرفت عصور الخلافة العباسية بهم وأصبحت الخلافة ضعيفة مسلوبة الإرادة في هذه العصور بعكس عصره الأول الذي عرف بعصر القوة والازدهار.

==========

المحاضرة الخامسة

الوزارة

عناصر المحاضرة

١. **تمهيد**
٢. **الوزارة في اللغة والاصطلاح**
٣. **نشأة الوزارة في العصر العباسي الاول**
٤. **الوزارة في العصر العباسي الأول**
٥. **الوزارة في العصر العباسي الثاني**
٦. **الوزارة في العصر البويهي**
٧. **الوزارة في عصر السلاجقة**
٨. **الصفات الواجب توفرها في الوزير**
٩. **تقليد الوزارة**
١٠. **اقسام الوزارة (نظرية الوزارة)**

الوزارة في اللغة والاصطلاح

اختلف اللغويون حول أصل لفظ وزير، وجعل له اشتقاقات عدة مثل **الوزْر** بسكون الزاي وهو الثقل والعب. لان الوزير يحمل عن الخليفة أعباء الدولة ويقوم بإدارة شؤونها.

أو الوَزَر بفتح الزاي وهو الملجأ أو المعتصم بمعنى ان الوزير يحمل الثقل عن الخليفة، أو أن يلجأ إليه في الامور المهمة، أو يلجا إلى راية ومعونته. كما في قوله تعالى: في سورة القيامة **{كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ }(١٢)**

أو الازر وهو الظهر لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر. وهذا اللفظ ورد في القران الكريم في أكثر من موضع

في سورة طه الايات ٢٩-٣٢ **{وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي}**

وفي سورة الفرقان اية ٣٥{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا} (٣٥)

وفي قوله تعالى في سورة الشرح آية ٢-٣ **{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣)**

ذهب البعض مذاهب شتى في تعريف كلمة وزير. منهم من قال ان الكلمة قد تكون مأخوذة من المؤازرة وهي المعاونة لان الوزير عون الملك يحمل ثقله ويعينه برأيه ويحمل عنه أعباء السياسة، ومنهم من قال أن اللفظ فارسي معرب وأصله من الزور عند الفرس اسم للشدة والقوة، فاقتبس منهم وعرّب ، وكان يطلق على الوزير عند الساسانيين الفرس اسم بزر خرم دار ومعناه كبير عمال الدولة او رئيس رؤسائها، ويرى بعض المستشرقين ان كلمة وزير فهلوية أي فارسية قديمة وهي مشتقة من لفظ فيشيرا التي تعني الأمر أو التقرير أو الحكم.

ويؤكد اللغويون العرب على ان لفظة وزير عربية لورودها في القرآن الكريم على النحو السابق، وكذلك ورودها في الأقوال كما في سقيفة بني ساعده منا الأمراء ومنكم الوزراء، ويقول ابن خلدون ان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها لدى كسرى وقيصر والنجاشي كانوا يسمون أبا بكر وزيرا، كما استعملت في العصر الاموي فكان زياد بن ابيه والي العراق يسمى وزير معاوية. إلا ان الكلمة بمفهومها الوظيفي وسلطاتها المعروفة المحددة لم تستعمل إلا في العصر العباسي الأول.

نشأة الوزارة في العصر العباسي

لم تعرف الوزارة قبل العصر العباسي الأول كما أنها لم تظهر بشكلها الكامل في بداياته، بل كانت سلطات الوزير لا تتعدى المشورة وإبداء الرأي، وتنفيذ أوامر الخليفة، ثم نمت وتطورت وأصبح الوزير يشرف على الشؤون المالية وعلى الدواوين والجيش. يقول ابن خلكان في هذا الصدد: "انه لم يكن قبل أبي سلمة الخلال وزير أبي العباس من يعرف بلقب وزير لا في دولة بني أمية ولا في غيرها". ويتضح من هذا النص أن أبا العباس كان أول خليفة احدث منصب الوزارة، وولى بعض الفرس هذا المنصب تقديرا لجهودهم في معاونة بني العباس

على إقامة دولتهم، فبعد قيام الدولة العباسية أطلق على أبي سلمه الخلال اسم وزير آل محمد وقد منحه نقباء الدعوة العباسية هذا اللقب وسلموا إليه الرياسة وأصبحت وظيفة الخلال تقارب إلى حد كبير خلال هذه الفترة وظيفة الكاتب الأموي ويتضح هذا في قول المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف: "استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيرا".

ولم يحدث العباسيون تغييرا جوهريا بتسمية الخلال وزيرا، لكن فكرة الوزارة العباسية وإشراك الفرس في السلطة أدى مع مرور الوقت إلى ظهور نظام الوزارة على صورته الكاملة، وإلى رسوخه كأساس للنظام السياسي العباسي، وتغيرت مكانة الوزير وصلاحيات منصب الوزارة من فترة إلى أخرى خلال العصر العباسي بل ومن عهد خليفة إلى عهد خليفة آخر، وتأرجحت بين القوة والضعف أو التلاشي، مما يجعلنا نعمل جاهدين على تلمس هذا الوضع في ضوء سمات عامة ميزة كل عصر من عصور الدولة العباسية، حيث مرت هذه الدولة بتطورات وخضعت لمؤثرات خارجية وداخلية كان لها دور الرئيس وانعكست بشكل مباشر على منصب الوزير.

الوزارة في العصر العباسي الأول

كان الوزير في هذا العصر ساعد الخليفة الأيمن، يقضي باسمه في جميع شؤون الدولة، فكان له الحق في تنصيب العمال وصرفهم والإشراف على جمع الضرائب والقيام على موارد الدولة ومصارفها كما كان له الأشراف على ديوان الرسائل وينوب عن الخليفة في حكم البلاد ويجمع في شخصه السلطتين المدنية والحربية بجانب الواجبات العادية من نصح الخليفة ومساعدته مما جعل ابن خلدون يقول: فعظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب فصار اسم

الوزير جامعا لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة.

ويتميز العصر العباسي الأول بالصراع بين سلطة الخليفة و سلطة الوزير، ذلك الصراع الذي كان يؤدي عادة القضاء على الوزير غير ان الصراع بين السلطتين لم يكن ينتهي بالقضاء على احد الوزراء، إذ كان من يحل محله لا يلبث ان يحاول إقرار سلطة الوزارة وتقوية نفوذها، ومما تجدر الإشارة إليه انه في كثير من الأحيان كان يشغل الوزارة رجال من أصل فارسي يعملون على إقرار أسرهم في هذا المنصب وذلك أما تأثرهم بالتقاليد الساسانية أو شعورهم بمكانتهم في الدولة التي ساعدوا بإخلاص في إقامة صرحها.

والأمثلة على ذلك كثيرة في هذا العصر، فقد دس أبو جعفر المنصور السم لأبي جهم وزير أبي العباس من قبل لأنه كان يحقد عليه. ولقي نفس المصير أبو أيوب المورياني الذي قلده المنصور الوزارة ثم قتله بسبب وشايات أعداؤه ضده. ولقد أصاب ابن طباطبا في وصفه الوزارة أيام المنصور حيث يقول: لم تكن الوزارة في أيامه طائلة لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته مع انه كان يشاور في الأمور دائما، وان كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم ابهة ولا رونق.

وعلى النقيض من ذلك بلغ نفوذ الوزير غايته في عهد هارون الرشيد، فقد اتخذ يحيى البرمكي وزيرا له وقال له: قلتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وامض الأمور على ما ترى، ثم دفع إليه خاتمه الخاص وسلمه خاتم الخلافة حتى صار بيده الحل والعقد في كل شؤون الدولة، ثم خلفه ابنه جعفر بن يحيى.

في عهد هذا الوزير قبض البرامكة على أعنّة الحكم، وصار بيدهم الدخل والخرج حتى كان هارون يطلب البسيط من المال فلا يصل إليه إلا عن طريق البرامكة، فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه فعظمت آثارهم وبَعُد صيتهم، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها لأنفسهم عمن سواهم من وزارة وقيادة وكتابة، وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وتخطت إليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك.

وقد زاد مركز الأسرة البرمكية خطورة أيام هارون الرشيد لدرجة أن الناس انصرفوا ونظموا القصائد الرائعة في مدحهم والتغني بكرمهم وجودهم الذي أصبح مضرب الأمثال، وبسبب تجاوزهم حدود صلاحيات مناصبهم الوزارية لثقة الخليفة بهم وتفويض أمور الدولة إليهم كثرت الوشايات ضدهم من قبل الحساد والحاقدين مما غير هارون الرشيد في معاملتهم وكان مصيرهم ما بين القتل والسجن وهو الحادث الذي عرف في التاريخ باسم نكبة البرامكة.

الوزارة في العصر العباسي الثاني

يعد عهد الخليفة العباسي المعتصم بداية النفوذ التركي في الدولة العباسية، وكانت الظروف السياسية هي التي اوحت ألى المعتصم استخدام الأتراك في الجيش ومصالح الدولة فكثر عددهم وقويت شكيمتهم حتى بلغوا سبعين ألفا.

وقد بدأ نفوذ الخلفاء يتقلص بسبب اتسع سلطان الأتراك في شؤون الدولة، فاستبدوا بالخليفة حتى اخذوا يتدخلوا في اختيار الخلفاء ووزرائهم وعزل بعضهم أحيانا وأدى تسلطهم على الخلافة في هذا العصر الى ضعف مركز الوزير وانتقلت السلطة الفعلية الى زعماء الأتراك. ومع ذلك فقد لعب الوزراء في هذا العصر دورا خطيرا في العلاقة بين الخلفاء والقواد والأتراك وفي تسيير دفة الحكم بالرغم من تعرضهم الدائم لسخط الخلفاء او القواد الاتراك. ذلك الدور الذي ينتهي غالبا بقتلهم.

وبالرغم من المنافسة الشديدة التي تعرض لها الوزراء من قبل الخلفاء من جهة ومن قبل الاتراك من جهة اخرى فقد نجح بعضهم في اثبات اسمائهم على السكة وعلى طراز المنسوجات. ففي بداية القرن الرابع الهجري شغل منصب الوزارة علي بن عيسى الذي ساعدته كفاءته وخبرته وأخلاقه على ان يستفيد من كفاح سلفه من الوزراء في اقرار منصب الوزير وسلطته وفي ضبط امور الدولة وحسن تدبيرها. كان هذا الوزير يعطف على الفقراء وخصص الاموال لإصلاح الثغور والحرمين الشريفين وأوقف كثيرا من الأوقاف وخصص لها ديوانا سماه ديوان البر. وضبط الدواوين ونظم شؤون الدولة الداخلية فأستتب الأمن في عهده وعادت الأمور إلى نصابها بفضل حسن سياسته ومهارته الإدارية. وهذا النموذج من الوزراء يمثل حالات قليلة شغلت منضب الوزارة في العصر العباسي الثاني وعملت جاهدة على ان تعيد للوزير مكانته وتضعه في موضعه الصحيح.

لكن ضعف الخلفاء ادى الى اشتداد المنافسة على الوزارة، وصحب هذه المنافسة تفشي الدس والرشوة وما اليها. فإذا أراد احد ان يتولى الوزارة اظهر استعداده لشراء هذا المنصب بدفع المال للخليفة ونجم عن ذلك ان جاء إلى منصب الوزارة وزراء في غاية السوء وقلة الخبرة وانعكست تصرفاتهم على أحوال الدولة فقد أساءوا السيرة في الناس وبالغوا في جمع الأموال ونشر الفساد بين الناس لدرجة أنهم كانوا يبيعون وظائف الدولة الأخرى دون اعتداد بأية شرط من شروط الكفاية.

وقد ضعفت سلطة الوزير السياسة والعسكرية نتيجة زيادة استبداد الاتراك بالحكم ولم تعدله إلا الجباية والإشراف على الأمور الإدارية، عدا تعيين الولاة الذين أصبح أمر تعينهم يتوقف على رغبة الأتراك وعلى مقدار ما يقدموه من رشوة لهم، وأصبح منصب الوزارة من الضعف بحيث تولاه كل من يدفع مالا أكثر فتضاءلت هيبة الوزراء وأصبح النظام من افسد النظم نتيجة تسلط النساء والجواري والأتراك على شؤون الدولة. ونتيجة تعدد الوزراء الذين لم يكن اختيارهم قائما على أساس الكفاءة والمقدرة الإدارية والمالية.

وفي عصر إمرة الأمراء ضعف شان الوزير أكثر من ذي قبل

فلم يكن ينظر في شي من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الإعمال، وما كان له غير اسم الوزارة فقط والحضور في المواكب إلى دار السلطان، كما أصبح بعد استحداث هذا المنصب أمير الأمراء مجرد كاتب يتولى الأمور المالية للخليفة وحده، في حين انتقلت سلطات الوزير والخليفة إلى أمير الأمراء هذا والذي صار له الحق في اختيار وزير للخليفة، وفي هذا العصر أطلق على الوزير لقب الصاحب.

الوزارة في العصر البويهي

باستيلاء بني بويه على السلطة في بغداد عام ٣٣٤هـ أصبح تعيين الوزراء بيدهم وزال نفوذ الوزراء. ولم يكن وزراء بني بويه جميعا ممن تتوفر فيهم القدرة السياسية والإدارية والمالية بل تولت الوزارة شخصيات ضعيفة بحيث لم يكونوا مختلفين عمن سبقهم من الوزراء في العصر التركي من حيث احتجازهم الأموال واستخدامهم أساليب المساومة والمنافسة للحصول على منصب الوزارة فاضطربت الأمور وانتشرت الرشوة واستولى الوزراء على أموال الناس بالباطل وسيطروا على ضياع الخلفاء وضياع الرعية وعلى حقوق بيت المال.

الوزارة في عصر السلاجقة

السلاجقة اتراك استنجد بهم الخلفاء العباسيون لتخليصهم من سلطة البويهيين الفرس. وقد ظهر وزراء اقوياء استطاع بعضهم ان يسيطر على مقاليد الامور ويحقق للباد نوعا من الامن والاستقرار والمنجزات الحضارية، فمنهم من كان يجلس للمظالم وقضاء حاجات الناس، ومنهم من كان عالما بقواعد السياسة ونجح ان يطبقها لصالح الدولة وهناك من عرف بينهم بالعدل ورفع الظلم والسخاء في العطاء من ماله الخاص مثل الوزير نظام الملك الذي تسلم الوزارة للسلطانين ألب ارسلان وملكشاه. وسار على دربه ابنه أبو نصر احمد، فقد كان قوي النفوذ عظيم السلطان.

الصفات الواجب توفرها في الوزير

١. **يجب أن يتصف الوزير بالعلم والبلاغة**
٢. **يجب أن تتوفر فيه صفات الأمانة والأدب جامعا لخصال الخير**
٣. **صدق اللهجة حتى يوثق بخبره**
٤. **قلة الطمع حتى لا يرتشي**
٥. **ان يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء**
٦. **ان يكون ذكورا لما يؤديه للخليفة وعنه**
٧. **الذكاء والفطنة حتى لا تشتبه عليه الأمور**
٨. **ان لا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل**
٩. **الحنكة والتجربة التي تؤدي به صحة الرأي وصواب التدبير**

وحدد الخليفة العباسي المأمون صفات الوزير فقال: " إني التمس لأموري رجلا جامعا لخصال الخير ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب إذا اؤتمن على الاسرار قام بها وان قلد مهمات الامور نهض فيها يُسكته الحلم وينطقه العلم وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة له صولة الامراء وأناة الحكماء، وتواضع العلماء وفهم الفقهاء إن احسن اليه شكر، وان ابتلي بالإساءة صبر....يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه.

تقليد الوزارة

اذا ما رشح شخص لمنصب الوزارة، أرسل اليه الخليفة اثنين من الامراء يحملان كتاب الخليفة اليه فيسير الى دار الخلافة ثم يمْثل بين يدي الخليفة، ثم ينصرف الى حجرة اخرى ليرتدي لباس التشريف ثم يمثُل به امام الخليفة فيقبل يده وينصرف، فإذا بلغ الباب وجد حصانا مزينا في انتظاره فيمتطيه ويسير الى دار الوزارة وقد سبقه كبار الموظفين ورجال البلاط وحجاب القصر، فإذا وصل ترجل وسط مظاهر الاحتفال ثم يُقرأ سجل تعينه في منصب الوزير ويجلس ليتقبل التهاني بالمنصب الوزاري

اقسام الوزارة (نظرية الوزارة)

قسم الفقهاء الوزارة الى قسمين او نوعين وزارة التفويض ووزارة التنفيذ ، وظهر التمييز جليا بين هذين النوعين في العصر العباسي بوجه خاص

أولا: وزارة التفويض : يعد الخليفة بالوزارة لرجل يفوض اليه النظر في امور الدولة والتصرف في شؤونها دون الرجوع اليه ويشترط في وزيرة التفويض ما يلي

١. الاسلام

٢. الحرية

٣. التكليف

٤. الذكورة

٥. العلم

٦. العدالة

٧. سلامة الحواس

٨. الكفاية

اختصاصات وزير التفويض

١. يجوز لوزير التفويض ان يحكم بنفسه وان يقلد الحكام كما يجوز ذلك للإمام

٢. يجوز له ان ينظر في المظالم او يستنيب فيها

٣. يجوز له ان يتولى الجهاد بنفسه وان يقلد من يتولاه

٤. يجوز له ان يباشر تنفيذ الامر التي دبرها ويستنيب في تنفيذها

٥. لوزير التنفيذ ما للخليفة من صلاحيات بشكل عام مع بعض الاستثناء

ثانيا: وزير التنفيذ

في هذه الوزارة يكون الوزير وسيطا بين الخليفة وبين الولاة والرعية، وهو مجرد منفذ لأوامر الخليفة ويعرض على الخليفة ما يريد من الامور ليُفصِل فيها بما يأمره به، فهو بهذا المعنى مُعين على تنفيذ الامور وليس بوال عليها ولا متقلد لها وهو في هذه الحالة يكون بمثابة همزة الوصل الوحيد بين الامام والشعب. وببساطة تشتق مهامها من اسمها وهي تنفيذ الوزير لكل ما يأمر به الخليفة فلا يجتهد في امر ولا يستقل برأي ولا ينصرف في شأن من شؤون الدولة دون اذن الخليفة.

وفي ختام الحديث عن الوزارة لا بد ان نذكر بعض صفات وزير التنفيذ والتي هي

١. الامانة

٢. صدق اللهجة والحديث حتى يوثق بخبره وقوله

٣. قلة الطمع حتى لا يرتشي

٤. ان لا يكون بينه وبين الناس عداوة وشحناء

٥. الذكاء والفطنة حتى لا تدلس عليه الامور وتلتبس

٦. ان لا يكون من اهل الاهواء فيخرجه الهوى من الحق الى الباطل

==========

المحاضرة السادسة

النظام القضائي

اولا: القضاء

عناصر المحاضرة

١. **تمهيد**
٢. **القضاء في العصر النبوي**
٣. **السمات المميزة للقضاء في عهد النبوة**
٤. **القضاء في عهد الخلفاء الراشدين**
٥. **القضاء في العصر الأموي**

تمهيد

القضاء من الامور المقدسه عند كل الامم خاصة الراقية منها حيث لم تترك امورها فوضه فالخصومه من لوازم الطبيعة البشرية فلو لم يكن هناك وازع للقوي عن الضعيف لاختل النظام وعمت الفوضى قال تعالى: (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} الحج(٤٠). وقوله سبحانه (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) البقرة(٢٥١). فلا غرابة اذا كان القضاء مما قدسته الشريعة الاسلامية منذ البداية.

القضاء في العصر النبوي :

جاء الاسلام وغرضه هداية الناس وإخراجهم من ظلام الجهل الى نور المعرفة واليقين بتصحيح عقيدتهم وتقريبهم الى خالقهم وتطهير انفسهم من الشرك بالله وعبادة الاوثان الى عبادة الله الواحد القهار، ونشر العدالة بالقضاء على الظلم والاستبداد وقمع الطغيان لتعم المحبة ويسود السلام .

وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الرسالة شأنه في ذلك شأن غيره من الرسل الذين كلفوا بإقامة العدل بين الناس، ومنع بغيهم على بعض ، قال تعالى في سورة ص: **{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)**

فقد جعل سبحانه وتعالى من ولاية الخلافة على الملك في الارض الحكم بين اهلها وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في سورة المائدة (٤٨-٥٠) {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} وقال جل شأنه: {وَأَنِ

احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (٥٠)

فقد امر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام ان يحكم بين الناس بما انزل الله ، وفصل الخصومات الواقعة بين المتنازعين على نحو ما امر الله به ، وهو امر بالقضاء بين الناس بالحق وطبقا لما انزله ، جل شأنه، من احكام وتشريع ، فالقضاء كخطه دينيه في النظام الاسلامي فرض يتحتم على امام المسلمين اقامته ، ويتحتم على المسلمين ان يعاونوا امامهم على اقامته على الوجه الذي يحقق المصلحة والعدالة في الامة ، ويكفل اطمئنان الناس على حقوقهم ومصالحهم .

وقرر التشريع الاسلامي كثيرا من المبادئ كان من أهمها العدالة ، والمساواة وما يكفل مصالح الناس وإسعادهم في الدنيا والآخرة ، وعرض القرآن الكريم للقواعد والأحكام التي تنظم علاقات الانسان بربه ، وعلاقات الناس بعضهم ببعض في جميع نواحي الحياة في الشؤون المدنية والمالية والتجارية والاجتماعية والجنائية ، وفي شؤون الأسرة وما ينظم علاقات الافراد بالحاكمين والهيئة الحاكمة ، إلا أنه لم يتعرض في الغالب للتفاصيل الجزئية ، وإنما يتعرض للأمور الكلية ، وترك ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضحه

كان رسول الله عليه الصلاة والسلام هو القاضي الاول في الدولة الاسلامية. وذلك نزولا عند التكليف الالهي له بذلك وامتثالا للآيات القرآنية التي كلفته بهذه المهمة. قال تعالى: في سورة النساء {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٦٥) وفي الآية ١٠٥ : (أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}(١٠٥)

كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو المرجع الاول لحل جميع الخلافات التي تنشأ في مجتمع المدينة المنورة بين فئات المجتمع، وذلك بمقتضى ما جاء في الوثيقة التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين وغيرهم بعد الهجرة مباشرة، وجاء فيها " كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار ... فإن مرده إلى ... محمد رسول الله " فمارس عليه الصلاة والسلام وظيفة القضاء علميا وفصل في المنازعات، وحكم في الدعاوي والخلافات وفي العقوبات والحدود والقصاص والمعاملات والمواريث .

السمات المميزة للقضاء في عهد النبوة :

القضاء في العهد النبوي أهم مرحلة في القضاء الاسلامي لأنه عهد الانطلاق الاول ، ونقطة البداية ،وحجر الاساس الذي قام عليه القضاء في الاسلام، لأن رسول الله عليه الصلاة والسلام بعث بالحق وأمر بإقامة العدل وطبق ذلك بين الناس فكان قضاؤه رمزا للعدالة في أنصع صورها وأجمل حالاتها ، لأن هذا الحق والعدل لا يتقيدان بالزمان والمكان، ومن ثم كان للقضاء في هذا العهد سماتا ميزته، في الامور الاساسية التالية:

أولا: كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القاضي الاول والمسؤول الرئيس عن القضاة ، وهو النبي المصطفى والرسول المجتبى والمشرع المعصوم، وقد اصطفاه الله للنبوة والتبليغ وأيده بالوحي وفضله على غيره عقلا وروحا، وخلقا وذكاء وفطنة فكان أعدل القضاة وأشهر الحكام .

ثانيا: كان القضاء في العصر النبوي مرتبط بالسماء وتحت الرقابة الالهية مباشرة ، فكان الوحي ينزل بالأحكام ، ويرشد إلى الصراط السوي، فإن حدث خللا او تجاوز نزل الوحي مبينا، وإن كان القضاء صحيحا أقره وبارك فيه

ثالثا : اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أكفأ الصحابة للقضاء والولاية : دينا وورعا ، وعقلا وفطنة ، وذكاء وخبرة ، وقوة وأمانة ، وزودهم بالتوجيه والنصح وأرشدهم إلى منهج الحق والعدل والسداد ، بينما رفض تعيين بعض الصحابة

رابعا: كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتابع بنفسه أحوال القضاة والولاة، ويصوب الاحكام .

خامسا : كانت ولاية القضاء جزءا من الولاية العامة ، فكان الرسول يجمع بين السلطات بيده، ولم يفصل القضاء عن بقية الولايات إلا في القليل النادر ، فكان يبلغ الناس ما أنزل

إليهم ويدير شؤون الدولة ، ويفصل في الخصومات ، وينفذ احكام الشرع ، ويراقب الاحكام الصادرة من صحابته وولاته وقضاته، وكان معظم قضاته يمارسون الولاية العامة

سادسا: كان القضاء في العهد النبوي أشبه بالإفتاء وأشبه بالتحكيم ، فكان الناس يتوجهون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى احد قضاته لمعرفة حكم الله في محل النزاع، دون أن يصدر خلاف حقيقي او خصومة جدية إلا نادرا ، وكانت الخلافات قليلة، ويرجع الناس الى تطبيق حكم الله

ورسوله طمعا بثواب الله وأجره ، وكان الخصمان يأتيان طوعا واختيارا ويعرضان الخلاف فإذا سمعا الحكم الشرعي اسرعا الى تنفيذه طائعين .

سابعا : كان القضاء في العهد النبوي بسيطا وسهلا ، لكنه تضمن المبادئ العامة والقواعد الاساسية والأصول الكلية لتوسيعه وتطويره وتحديثه، والاجتهاد بعده بحسب الازمنة والأمكنة، مع مراعاة المستجدات وتطور الاجراءات فصار القضاء النبوي مصدرا تشريعيا للمسلمين في جميع العصور.

ثامنا : كان القاضي في العهد النبوي يتمتع بالحرية الكاملة في اجراءات التقاضي وكان حرا في اجتهاده مع الالتزام فقط بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،ثم يتابع القاضي اعمال العقل واستخدام الذكاء والفطنة والفراسة وقد ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم القضاة والولاة وأطلق يدهم في تحقيق العدل وتطبيق الشرع فقال لحذيفة بن اليمان اذهب واقض بينهما وقال لعتاب بن اسيد انطلق فقد استعملتك على اهل بيت الله ، وكان المطلوب الرجوع الى القرآن والسنة ثم الاجتهاد والرأي .

تاسعا : امتاز القضاء في العهد النبوي بالوضوح والبعد عن الامهال والشكليات وتعقيد الامور مع سرعة البت في الدعوى والخلاف وتعجيل اصدار الحكم والمبادرة إلى تنفيذه، لتحقيق اهداف القضاء ومقاصده في حماية الحقوق وإقامة العدل ومنع العدوان وإزالة الظلم .

عاشرا: كان قضاء المظالم وقضاء الحسبة مرتبطان بالقضاء العادي، ويملك القاضي والوالي الصلاحيات الكاملة لتطبيق الشرع وإقامة العدل على الجميع

وقد ساهم القضاء في العهد النبوي بسماته المميزة هذه في تحقيق الامن والطمأنينة والاستقرار للأفراد والمجتمع، وعمل على حماية الحقوق وإقامة العدل، مما كان له اطيب الاثر في تحقيق الرفاهية في حياة الناس وآخرتهم ، وهو ما يصبوا اليه الناس في كل زمان ومكان.

القضاء في عهد الخلفاء الراشدين

في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه لم يظهر منصب القاضي المتخصص الذي تفرغ لعمله. ويرجع ذلك الى حداثة الاسلام. فكان المسلم الاول يعرف حقه كما يعرف حق غيره، ويدرك واجبه وواجب غيره، فينفذه الخصم دون حاجة الى قوة جبرية، وبقي الامر على هذه الحال طوال خلافة ابي بكر وكان هذا العهد امتداد لما كان قائما على ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطى القضاة خطوة كبيرة ، وذلك بظهور القاضي المتخصص ويرجع ذلك لأسباب منها :

اولا: اتساع نطاق الاسلام بامتداد الفتوحات وتوسعها ، مما ادى إلى اقامة مدن كبيرة .

ثانيا: اختلاط العرب بغيرهم من الامم مما أدى إلى تشابك المصالح .

ثالثا : كانت مهام الولاة كثيرة ، فدعت الحاجة إلى ادخال نظام لفض المشاكل التي تنشأ بين الافراد، وهذا الوضع قضى بتعيين قضاة ينوبون عن الخليفة في حل هذه المشاكل طبقا لأحكام الشرع.

فكان عمر بن الخطاب اول من عين القضاة في الولايات الاسلامية، فقد ولى ابو الدرداء قضاء المدينة وولى شريح بن الحارث الكندي قضاء الكوفة، وأبا موسى الاشعري قضاء البصرة وعبادة بن الصامت قضاء الشام

إلى الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، ثم الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور بنظائرها، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينه أمدا ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت القضية عليه فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى.

والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في نسب أو ولاء ، فإن الله سبحانه وتعالى عفا عن الأيمان ودرأ بالبينات ، وإياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم ، فإن استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته في الحق ، ولو على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس،ومن تزين بما ليس في نفسه شأنه الله ، فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصا، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام عليكم ورحمة الله ".

وقد كان القضاة في عصر الراشدين مجتهدين لا يقلدون أحدا في أحكامهم، لأن التقليد لم يكن معروفا فيهم، وكان مرجع الناس في أمر دينهم ودنياهم كتاب الله وسنه رسوله، فإذا اشتبه عليهم أمر من الأمور رجعوا إلى الخلفاء وفقهاء الصحابة، واستظهروا باجتهادهم رأيا عملوا به.

ثالثا: لم يكن في العهد سلطة قائمة ومتخصصة للعمل على تفنيذ أحكام القضاة وإلزام المتخاصمين بذلك، وإنما الذي يدفعهم لهذا هو وحي ضمائرهم وحبهم لدينهم وقوة إخلاصهم لدعوة الإسلام.

رابعا: لما كان الخصوم يرضخون من تلقاء أنفسهم إلى قضاء القضاة وتنفيذ أحكامهم طوعا واختيارا، لم تدع الحاجه إلى تسجيل الأحكام وتدوينها.

خامسا: كان للقضاة سلطة تنفيذ أحكامه التي قضى بها في بعض الأحيان وفي حالات معينة.

سادسا: لم يكن يُفرض على المتقاضين أية رسوم.

سابعا:لم يكن للقضاء مكان معين، بل كان يتم الفصل في المنازعات بالمنزل والسوق والمسجد

ثامنا: وحدة القاضي،أي نظام القاضي الفرد،فلم يجلس للقضاء في الخصومة الواحدة أكثر من قاضي.

تاسعا: تخصيص مرتبات للقضاة مقابل تفرغهم لهذا العمل.

عاشرا: المساواة التامة بين الناس في القضاء، بغض النظر عن مراكزهم الاجتماعية ودياناتهم المختلفة.

القضاء في العصر الأموي

في عهد الدولة الأموية خطا القضاء خطوات اتسعت من خلالها دائرته وتتمثل هذه التطورات فيما يلي :

أولا: استحداث نظام السجلات القضائية التي تدون فيها الأحكام التي يصدرها القضاة، فقد روى الكندي في كتابه" الولاة والقضاة" أن سليمان بن عتر أختصم إليه في ميراث، فقضى بين الورثة ثم تناكروا، فعادوا إليه فقضى بينهم، وكتب كتابا بقضائه وأشهد فيه شيوخ الجند،قال: فكان أول القضاة بمصر سجل سجلا بقضائه

ثانيا:تنظيم سلطة قضائية عليا، مهمتها النظر فيما يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى منه يدا، وقد دعت الحاجة إلى إنشاء هذه السلطة لوقف تعدي ذوي الجاه والحسب، ولهذا كانت المظالم تسند إلى رجل جليل القدر كثير الورع مهاب في المجتمع، وكانت هيئة المظالم تنعقد برئاسة الخليفة أو الوالي أو القاضي أو من ينوب عنه، وهو ما سنعرض له تفصيلا في قضاء المظالم.

ثالثا: كان قضاة العصر الأموي من خيرة الناس، يخشون الله،ويحكمون بين الناس بالعدل، وبالرغم من أنهم كانوا مستقلين في أحكامهم، إلا أنهم خضعوا لمراقبة أحكامهم من قبل الخليفة الذي كان يعزل من يبتعد عن الطريق السوي.

==========

المحاضرة السابعة

النظام القضائي

تكملة القضاء

النظر في المظالم

عناصر المحاضرة

القضاء في العصر العباسي

خصائص القضاء في العصر العباسي

الشروط الواجب توافرها في القاضي

أعوان القاضي في مجلس القضاء

النظر في المظالم

التطور التاريخي لقضاء المظالم

١. **العهد النبوي**

٢. **-عهد الخلفاء الراشدين**

القضاء في العصر العباسي

جاء العصر العباسي، فاتسع فيه نطاق الحضارة، وانتشر الإسلام في الممالك، تفرّق حُفّاظ الشريعة ورواتها في الأمصار، و استبحر العمران، وتجددت حوادث يقتضيها تشعب المعاملات وحال الأمم الداخلة في الإسلام، فكان من جراء هذه الأوضاع أن اتسعت دائرة القضاء، امتثالا **لما رواه مالك بن أنس عن عمر بن عبد العزيز أنه قال:" يحدث للناس من الأقضية بقدر ما يحدث لهم من الفجور".**

فقد دخل في الإسلام عدد عظيم من الفرس والروم والبربر والمغاربة، وتم نقل الكتب من الفارسية والرومية إلى اللسان العربي،وظهر الجدل والخلاف، واتسع المجال للعقول، فكان الخوف من تشتيت أحكام الشريعة.

ودخول الفوضى في الأحكام،ومن ثم دعت الحاج إلى أمرين مهمين:

الأول: تدوين الشريعة في الكتب

الثاني: وضع قواعد عامة للتفريع من أصول الشريعة لتطبيق الحوادث التي تحدث في احكام المعاملات على قوانين الشرع.

خصائص القضاء في العصر العباسي :

اولا: بدأ القضاء يلبس ثوبا مذهبيا بعد أن كان قضاء قائما على حرية القاضي في الحكم بما يستنبطه من نصوص الكتاب والسنه

ثانيا: استحداث منصب"قاضي القضاة" وإليه كان يرجع امر تعيين القضاة، وكان قاضي القضاة هذا يقيم في مركز الخلافة في بغداد، ويُسند إليه قضاء العاصمة "وسائر الأمصار في الآفاق والأقطار شرقا وغربا وبعدا وقربا"، كما صار منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ينفرد بتعيين القضاة وعزلهم في سائر الأقاليم والبلاد التابعة للخلافة، وكذلك الإشراف عليهم ومراقبتهم، بعد ان أصبح من الصعب على الخليفة مراقبة القضاة.

ثالثا: اخاذ جماعة الشهود الدائمين، ويتم ذلك بناء على تحريات سرية عن الشهود، وأحدث قائمة بالرجال الصالحين للشهادة بحيث صار وجود اسم الشخص في تلك القائمة جوازا إلى منصة الشهادة لا اعتماد على الثقة، كما صارت كلمة"الشاهد" يقصد بها مثل هذا الشخص المسجل في القائمة.

رابعا: تأثر القضاة بالسياسة، وأصبح الخلفاء يتدخلون في القضاء حتى حملوا القضاة في كثير من الأحيان على السير وفق رغباتهم، واتخذوا لذلك أساليب مختلفة *مثل :*

١. **تقريب القضاة إلى الخلفاء بالهبات والأعطيات.**
٢. **جذب القضاة بالمناصب**
٣. **تهديد من يأبي من القضاة السير وفق سياسة الخلفاء، كما حدث بين الخليفة أبو جعفر المنصور والإمام أبي حنيفة.**

الشروط الواجب توافرها في القاضي

كان عمر بن الخطاب ﷺ يتشدد في اختيار القاضي وهو القائل ما من أمير أمّر أميرا أو استقضى قاضيا محاباة، إلا كان عليه نصف ما اكتسب من الإثم، وإن أمّره أو استقضاه لمصلحة المسلمين كان شريكه فيما عمل من طاعة الله تعالى، ولم يكن عليه شيء مما عمل من معصية، وقال عمر بن عبد العزيز: إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كَمُل:علم بما كان قبله، ونزاهة عن الطمع،وحلم عن الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشاركة اهل العلم والرأي.

وقد حدد الفقهاء شروطا يجب أن تتوفر فيمن يتولى منصب القضاء، لضمان تحقيق العدالة، وتحمل تبعات وأعباء مهام هذا المنصب الخطير بعيدا عن أية أهواء أو زيغ أو ضلال،

وهذه الشروط تتمثل فيما يلي :

اولا: الإسلام: اتفق الفقهاء على أن الإسلام شرط لصحة تولية القاضي وصحة قضائه، إذا كان الخصوم جميعهم مسلمين او بعضهم مسلما والآخر غير مسلم، فلا يصح أن يتولى القضاء كافر بين مسلم ومسلم، أو بين مسلم وكافر، لقوله تعالى: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾،

ومن كان بهذه المثابة لا تقبل شهادته ولا يلي القضاء، أما القاضي المسلم عارف بالأحكام، حريص على إقامة العدل بين الناس خوفا من عذاب الله وعقابه، وفي ذلك ضمان لعدم تعطل المصالح وانتشار الفساد.

ثانيا: البلوغ : البلوغ شرط لصحة تولية القاضي وصحة قضائه، فلا تصح تولية الصبي القضاء ولا يصح قضاؤه، لأن

القضاء من باب الولاية والصبي لا ولاية له على نفسه، لذلك اشترط الفقهاء البلوغ الشرعي باعتبار الحد الذي يتعلق به التكليف، خصوصا وأن القضاء يحتاج إلى اجتماع الرأي، وكمال الفطنة، ونفاذ البصيرة، مما لا يتصور قبل البلوغ.

ثالثا: العقل: لا تصح ولاية المجنون ولا المعتوه ولا يصح قضاء أي منهم لفقدانهم الإدراك والتمييز الضروريين للتكليف الشرعي، أي أنه لابد وأن يبلغ من كمال العقل ونضوجه درجة عالية يستطيع معها أن يعالج مشكلات الأمور، والقضاء بالحكمة والروية والعدل في مهام ما يعرض عليه من مشاكل.

رابعا: الذكورة: تُشترط الذكورة فيمن يتولى القضاء، سواء أكان القضاء في الحدود أو، في غيرها، وسواء أكان فيما تجوز فيه شهادة المرأة أم لا، وسواء أكان مما لا يطلع عليه الرجال أم لا، فلا يصح تولية المرأة القضاء، ذهب إلى ذلك المالكية والشافعية و الحنابلة ، ووجه الدلالة قوله تعالى:﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾

كما أن وظيفة القضاء تستدعي الجلوس في المجالس العامة للفصل في الخصومات وفض المنازعات ، والمرأة مأمورة بالتحرز عن ذلك ، فصوتها عورة ، وصورتها عورة ، وليس من المعقول أن تجلس منتقبة الوجه والكفين ، ثم إن القضاء يحتاج إلى كمال الرأي والفطنة ، وتمام العقل ، وهذا غير متحقق في المرأة على سبيل الكمال لانسياقها وراء العاطفة التي طبعت عليها ، ولتأثير العوامل الطبيعية التي تعتريها على مر الشهور والسنين ، فتمنع من تكوين الرأي الكامل لديها .

والإسلام أحاط عزة المرأة وكرامتها بسياج منيع من تعاليمه الحكيمة، وحمى أنوثتها وأخلاقها من العبث والعدوان ، وحرم الخلوة بها على الأجانب منها ، والنظرة الملتهمة إليها ، وحرم عليها أن تبدي زينتها إلا ما ظهر منها ، وأن تخالط الرجال في مجامعهم ، واشتغالا بالقضاء يؤدي حتما إلى هذه المحرمات ، فيكون محرما طبقا لقواعد الأصول والفقه .

خامسا: الحرية: تشترط الحرية فيمن يتولى القضاء: لقوله تعالى ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ فاشتراط العدالة في الشهود، والعدل هو الذكر البالغ العاقل الحر.

فالقضاء وظيفة إلزام، و الإلزام لا تقبله نفوس الأحرار من الأرقاء،خصوصا وأن الرقيق مشغول بحوائج سيده، والمشغول لا يُشغل.

سادسا العدالة: تعتبر العدالة شرطا فيمن يتولى القضاء، فلا يلي القضاء فاسق سواء فسق بالاعتقاد أو بالجارحة، فقد امر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتثبت و التبين من خبر الفاسق فلا يقبل أخباره إلا بعد التبيين، ولو جوزنا قضاؤه

لأدى ذلك إلى التأخير في الحكم إلى حين التثبت منه ويتبين حقيقة أمره، فإن وافق الحق قضى وإن خالفه نقض وهذا يؤدي إلى تعطيل مصالح الناس وهذا لا يجوز.

سابعا : العلم بالكتاب والسنة وبلوغ درجة الاجتهاد

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما انزل الله ﴾ والحكم على هذا النحو لا يكون إلا بعد العلم بما في الكتاب والعالم بما في الكتاب هو المجتهد. وعن رسول الله ﷺ أنه قال:" القضاة ثلاثة:اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق فلم يقضي به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار".

فالأصم والأبكم والأعمى ليسوا على درجة كافية من وضع الحق في نصابه على الوجه المبين في الشريعة الإسلامية، فالأعمى لا يتأتى منه قضاء ولا ضبط، لا تميز المحق من المبطل ولا تتعين طالب من مطلوب ولا شاهد من مشهود عليه فإنه وإن كان يميز إلاصوت من تكرر عليه صوته وليس كل من يشهد عنده بشهادة ممن يتكرر عليه، فقد يشهد عنده من لم يسبق أنه سمع صوته والأصم والأبكم يتعذر عليهما الفهم و الإفهام.

أعوان القاضي في مجلس القضاء:

حتى يستطيع القاضي القيام بهذه بمهامه واختصاصاته لابد وان يكون له أعوان يعينونه على أدائها من خلال توفير الجو الملائم للتقاضي وتحقيق الهيبة الواجبة لمجلس القضاء وتقديم الأدلة التي يستطيع القاضي بها أن يصدر حكما عادلا. ومن ثم تكوّن مجلس القضاء من التالية:

الجلواز: من لوازم القاضي أن يكون له في مجلسه جلوازا وهو شرطي القاضي شديد السعي بين يدي القاضي وهو المسمى بصاحب المجلس، يقوم على رأس القاضي لتهذيب المجلس وبيده سوط يؤدب المنافق، وينذر به المؤمن، فهذا الرجل يمنع الناس عن التقديم بين يدي القاضي في غير وقتهم أو دورهم ويمنعهم عن إساءة الأدب ويُشترط فيه ان يكون أمينا غير طماع حتى لا يرتشي ويميل إلى بعض الخصوم ولا يترك تأديبه

وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح، ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام أصولها، ومن جهة أحكام شروطها الشرعية وعقودها، فيحتاج حينئذ إلى ما يتعلق بذلك الفقه، ولأجل هذه الشروط، وما يحتاج إليه من المران على ذلك والممارسة له، اختص ذلك ببعض العدول، وصار الصنف القائمين به كأنهم مختصون بالعدالة وليس كذلك، وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة.

تنحصر وظيفة هؤلاء العدول في أمرين:

الأول: كتابة العقود بين الناس في معاملاتهم مستوفاة شروطها الشرعية.

الثاني: يستعين القاضي بهم على تزكية الشهود الذين يشهدون عنده في الخصومات

قضاء المظالم:

التطور التاريخي لقضاء المظالم

١. **العهد النبوي**

٢. **-عهد الخلفاء الراشدين**

٣. **-العهد الأموي**

٤. -العصر العباسي

-اختصاصات قاضي المظالم

-الفرق بين قاضي المظالم والقاضي العادي

-الإفتاء

-قضاء الحسبة

قضاء المظالم:

قضاء المظالم هو استيفاء الحقوق من الولاة والحكام وأصحاب النفوذ ومنعهم من ظلم الرعية وقد عرّفها أبو يعلى الحنبلي في أحكامه بأنها "قود المتظلمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة"

والغرض من نشأة قضاة المظالم هو وقف تعدي ذوي الجاه والسلطان وكبح جماحهم والأخذ على أيديهم ورد الظالم عن بغيه وإنصاف المظلومين والنظر في كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى يدا منه، إذ غالبا ما يكون النزاع بين طرفين قويين او أحداهما قوي والأخر ضعيف،.

قضاء المظالم:

فقضاء المظالم يرفع الظلم عن الضعفاء الذين لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم

المظالم في العهد النبوي

وقد وجدت النواة الأولى لقضاء المظالم زمن النبي عليه الصلاة والسلام ، عندما طلب من الصحابة أن يأخذوا حقهم منه، وعين راشد بن عبد ربه للنظر في ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام : "من أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتص منه" (رواه مسلم في صحيحة).

وقد أفرد البخاري باباً عن " محاسبة الإمام عماله " ذكر فيه حالات حاسب فيها رسول الله من كلفهم بالإمارة أو جمع الصدقات ، ومن هذه الحالات محاسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عاملا أرسله على الصدقات ، فقبل منهم الهدايا ، وأيضا ما روي عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنه قال : " استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأسد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتيبة ، فلما جاءه حاسبه "

في العهد النبوي

وفي السيرة النبوية ما يؤكد أن رسول الله صلى الله علي وسلم باشر بنفسه النظر في المظالم ، أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير بن العوام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصاري : سرح الماء يمر فأبى عليه، فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال للزبير : أسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك ، فغضب الأنصاري ، ثم قال : يا رسول الله أن كان ابن عمتك ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال للزبير : اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر.

المظالم في عهد الخلفاء الراشدين :

وعلى هذا المنوال سار الخلفاء الراشدون في التعامل مع المواقف على نحو يحول دون وقوع ظلم على أحد من الناس ، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه كان دائماً يكشف أحوال عماله ، ويختار أكثرهم علماً وعملاً وأمانة، ويتحرى عن أعمالهم وما يقومون به في إدارتهم لشؤون البلاد ، كما فتح بابه لكل من يأتي إليه شاكياً من ظلم أو مطالباً بحق .

قضاء المظالم في عهد الخلفاء الراشدين :

وقد جرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إدارة الدولة الإسلامية على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة أبي بكر رضي الله عن في مراقبة عماله في خلوتهم وحلوتهم ، وكان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ، ومن طرقه في مراقبة عماله أن كان يستدعي الولاة في مواسم الحج ليفضح الجائر منهم على رؤوس الأشهاد ، أو يبعث من يتحرى عنهم ، ويحقق بنفسه كل شكوى ترفع إليه مهما كانت مرتبة الوالي ومكانته كسعد بن أبي وقاص فاتح القادسية والمدائن ، وعمار بن ياسر الذي شكاه قوم من اهل الكوفة بأنه غير كاف ولا عالم بالسياسة ، وقال آخر أنه لا يدري علام استعمل ، فاختبره عمر فلم يحسن الإجابة في بعضه ، فعزله.

وقد شكى أهل حمص عاملهم سعيد بن عامر ، وسألوا عمر بن الخطاب عزله لأنه لا يخرج للناس حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحد بليل ، وله في الشهر يوم لا يخرج فيه ، فحقق عمر الأمر بنفسه ، وأيقن أن عامله هذا يعجن كل يوم خبزه ويجلس حتى يختمر فيخبزه ثم يخرج للناس ، وأنه يجعل الليل كله للعبادة ، ويشتغل مره في الشهر بغسل ثيابه ، فبعث إليه ألف دينار يستعين بها في مثل هذه الأعمال ، لكن سعيد بن عامر وزعها على جيش المسلمين.

وحرصاً من عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رد المظالم والقصاص من حكام الأقاليم ، إذا وقع من أحد منهم تجاوز في حق أحد من الرعية ، كان يخطب في الناس في كل موسم حج محدداً ما تنبغي أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم والرعية ، داعياً إياهم إلى المطالبة بحقوقهم أو بيان أي ظلم وقع عليهم ، ومما قاله في هذا الصدد : " أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فُعل به غير ذلك فليقم " ، فما قام إلا رجل واحد ، فقال : إن عاملك فلاناً ضربني مائة سوط ، قال : فيم ضربته .

قم فاقتص منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها بعدك ، فقال عمر : أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه ، فقال عمرو : فدعنا فلنرضه ، قال : دونكم فارضوه ، فافتدي منه بمائتي دينار كل سوط بدينارين ، ثم قال عمر : من ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له على إلا أن يرفعها إلي حتى أقصه منه ، فقيل له : أرأيت إن أدب أمير رجلاً من رعيته أتقصه منه ، فقال : ومالي لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه.

وفي هذا الإطار كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصادر لصالح بيت المال كل ما يطرأ على ذمة الولاة من مال ، ويمنع عليهم العودة إلى أوطانهم ليلاً حتى يعرف الناس والأرصاد ماذا يحملون ، كما كان يصادر لصالح بيت المال كل كسب غير مشروع كنتاج لاستغلال الوظيفة العامة .

وتأكيداً لمبدأ إقامة العدل بين الناس على أساس من المساواة بين الجميع ، وعدم وقوع ظلم من الحكام على الرعية ، كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى عماله على الأقاليم قائلاً : " إن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم ، فتعطوهم مالهم وتأخذون بما عليهم " ، ومن أقواله إلى عمال خراجه : " أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق ، والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم ".

وعلى السلوك القويم نفسه سار الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقد جلس للنظر في المظالم ، وراقب عماله ، ووالاهم بالنصح والإرشاد.

وخلاصة القول هو أن الخلفاء الراشدين باشروا النظر في المظالم بأنفسهم ، إلا أنهم لم يفردوا لها أياما مخصوصة ، ولم يعينوا قضاة مختصين للقيام بهذه المهمة ، بل كانوا أحيانا يسندونها إلى قضاة الأقاليم إذا تعذرت عملية مباشرتهم بأنفسهم لقضاء المظالم.

==========

المحاضرة الثامنة

تطور النظر في المظالم

الحسبة

عناصر المحاضرة

١. التطور التاريخي لقضاء المظالم

العهد النبوي

عهد الخلفاء الراشدين

العهد الأموي

نظر المظالم في العصر العباسي الاول

نظر المظالم في العصر العباسي الثاني

اختصاصات قاضي المظالم أو صاحب المظالم:

٢.الحسبة: نشأتها ومعناها

المظالم في العهد الأموي:

بعد مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أيدي الخوارج ، ومحاولة الاعتداء على حياة معاوية بن أبي سفيان، صار الخلفاء في العهد الأموي أقل اتصالا بالعامة ، ثم انتشر الفساد وتجاهر الناس بالظلم ، وتجور المتجورون ، ولم تكفهم الزواجر والنواهي ، ولم تنفعهم المواعظ والعبر ، فاحتاجوا في ردع المتغلبين إلى قاضي المظالم الذي يمتزج به قوة السلطنة ، لذلك خصص خلفاء بني أميه بعض الوقت لسماع الشكاوى والنظر في المظالم .

في العهد الأموي:

وقد كان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أول خليفة يخصص يوما معينا يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر ، فكان إذا وقف منها على مشكل أو احتاج فيها إلى حكم منفذ ، رده إلى قاضيه أبي إدريس الأزدي فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبد الملك بن مروان في علمه بالحال ووقوفه على السبب ، فكان أبو إدريس هو المباشر وعبد الملك هو الآمر ، ويؤكد الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب أن الخليفة باشر رد المظالم بنفسه،

بدليل أنه حاسب أحد كتابه لقبوله هديه قائلا له: "والله إن كنت قبلت هدية لا تنوي مكافأة المهدي إنك لئيم دنيء، وإن كنت قبلتها تستكفي رجلا لم تكن تستكفيه لولاها إنك لخائن..." ، ثم عزله عن عمله.

ثم زاد من جور الولاة وظلم العتاة ما لم يكفهم عنه إلا أقوى الأيدي وأنفذ الأوامر ، فكان الخليفة عمر بن عبد العزيز أول من ندب نفسه للنظر في المظالم ، فردها وراعى السنن العادلة وأعادها، ورد مظالم بني أمية على أهلها ، حتى قيل له ، وقد شدد عليهم فيها وغلظ: إنا نخاف عليك من ردها العواقب ، فقال : كل يوم اتقيه وأخافه دون يوم القيامة لأوقيته ، ومما يذكر له في هذا الصدد أنه خرج ذات يوم للصلاة فصادفه رجل من اليمن متظلما وهو يقول :

تدعون حيران مظلوما ببابكم فقد أتاك بعيد الدار مظلوم

فقال له عمر بن عبد العزيز : ما ظلامتك ؟ فقال: غصبني الوليد بن عبد الملك ضيعتي ، فقال الخليفة : يا مراجم ائتني بدفتر الصوافي؛ فوجد فيه أصفى عبد الله الوليد بن عبد الملك ضيعة فلان ، فقال : اخرجها من الدفتر، وليكتب برد ضيعة هذا الرجل إليه، ويطلق له ضعف نفقته. وبوفاة عمر بن عبد العزيز أهملت المظالم إلى نهاية الدولة الأموية.

النظر المظالم في العصر العباسي:

حرص بعض خلفاء بني العباس على النظر في المظالم ، وأنشأوا لها ديوانا حتى يمكن للمتظلمين أن يلجأوا إليه، إذا ما أرادوا الطعن في حكم أصدره القاضي، أو طلبا لرفع ظلم وقع عليهم ، كما جلسوا بأنفسهم أحيانا لرد المظالم، وأول من جلس منهم للنظر في المظالم الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩ هـ / ٧٧٥-٧٨٥ م) وكان يجلس وبين يديه القضاة من أجل أن يزيل عن الناس مظالمهم، ثم الخليفة موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م)، الذي كان يفتح أبوابه للناس، ويظل ينظر في مظالمهم بنفسه إلى هبوط الليل.

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦- ٧٩٨م) كان يجلس في كثير من الأحيان للنظر فيها بنفسه، عملا بوصية قاضي قضاته أبو يوسف الذي نصحه في كتاب الخراج بذلك قائلا : "فلو تقربت إلى الله، عز وجل، يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر أو الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من المظلوم، وتنكر على الظالم ... حتى يسير ذلك في الأمصار والمدن، فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم، ويأمن الضعيف المقهور جلوسك ونظرك في أمره فيقوى قلبه ويكثر دعاؤه .

فإن لم يمكنك الاستماع في المجلس الذي تجلس من كل من حضر من المتكلمين ، نظرت في أمر طائفة منهم في أول مجلس ، وفي أمر طائفة أخرى في المجلس الثاني ، وكذلك في المجلس الثالث " ، كما نصحه بعدم تقديم شخص على شخص قائلا : " من خرجت قصته أولا دعي أولا ، وكذلك من بعده ، مع أنه متى علم العمال والولاة أنك تجلس للنظر في أمور الناس يوما في السنة، ليس يوما في الشهر، تناهوا بإذن الله عن الظلم وأنصفوا من أنفسهم ".

وقد كان الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م) يجلس للمظالم يوم الأحد من كل أسبوع ، وكتب إليه أحد ولاة جنده بأن الجند شغبوا ونهبوا ، فرد عليه :" لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينهبوا " ، وعزله عنهم وأدر عليهم أرزاقهم ، وعندما نهض ذات يوم من مجلس نظره ، لقيته امرأة في ثياب رثة فقالت

ياخير منتصف يهدي له الرشد ويا إماما قد أشرق البلد

تشكو إليك عميد الملك أرملة عدى عليها ، فما تقوى به أسد

فابتز منها ضياعا بعد منعتها لما تفرق عنها الأهل والولد

فأطرق المأمون يسيرا، ثم رفع رأسه وقال :

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد وأقرح القلب هذا الحزن والكمد

هذا أوان صلاة الظهر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

المجلس السبت إن يقض الجلوس لنا انصفك منه ، وإلا المجلس الأحد

فانصرفت، وحضرت يوم الأحد في أول الناس ؛ فقال لها المأمون : من خصمك ؟ فقالت : القائم على رأسك ، العباس ابن أمير المؤمنين ، فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكثم : أجلسها معه ، وانظر بينهما ، فأجلسها معه ، ونظر بينهما بحضرة المأمون وجعل كلامها يعلو ، فزجرها بعض حجابه ، فقال له المأمون : دعها فإن الحق أنطقها ، والباطل أخرسه ، وأمر برد ضياعها عليها .

واستمر الخلفاء العباسيون النظر بالمظالم حتى أيام الخليفة العباسي المهتدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ / ٨٦٩-٨٧٠م) الذي أقام لها في بغداد قبة ذات أبواب أربعة ، عرفت بقبة المظالم ، كان يجلس فيها ، ولذلك أشاد الناس بسهولة الوصول إلى مجلسه ، وبنفوذ الكتب عنه إلى النواحي فيما يتظلم به إليه، ويرضى الناس عن حكمه فيها .

ويفهم من المصادر التاريخية أن بعض خلفاء بني العباس كانوا ينتدبون في المظالم أحيانا من ينوب عنهم ، مثلما فعل المأمون مع قاضيه يحيى بن أكثم ، والمعتصم مع قاضيه أحمد بن أبي دؤاد ، وكانوا يطلقون عليه قاضي المظالم أو صاحب المظالم ، ولم يكن هذا المنصب بالضرورة وقفا على القاضي بسبب معارفه القانونية، وإنما كان من الممكن أن ينوب عن الخليفة بعض العسكريين ، كما حدث في العصر العباسي الثاني حين غلب سلاطين السلاجقة على بني العباس ، وصار لهم النظر في المظالم .

النظر في المظالم في العصر العباسي الثاني:

وفي الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية ، نجد الأمير أبو العباس أحمد بن طولون أول من جلس في مصر للنظر في المظالم عندما استقل بحكمها عام ٢٥٧هـ ، فكان يجلس لذلك يومين في الأسبوع ، فلما مات وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه جعل على المظالم بمصر محمد ابن عبيدة بن حرب وذلك في شعبان عام ٢٧٣هـ .

وبعد أن نجح الفاطميون في دخول مصر ، وقيامهم ببناء مدينة القاهرة ، اهتموا بأمر المظالم ، وأول من جلس لها القائد جوهر الصقلي ، فكان يوقع على قصص المتظلمين بيده ، ثم صار الخلفاء بعده يعهدون بذلك إلى قاضي القضاة أو إلى بعض عظماء الدولة .

ولما قامت الدولة الأيوبية في مصر ، بنى الأيوبيون دارا للنظر في المظالم أسموها دار العدل ، وسار على دربهم في هذا الصدد سلاطين المماليك ، الذين كانت لهم عناية كبرى في إنصاف الناس . وهكذا نشأ قضاء المظالم كولاية أو وظيفة مستقلة عن القضاء وإن كان مكملا له .

اختصاصات قاضي المظالم أو صاحب المظالم:

كان قاضي المظالم ينعم بسلطة قضائية أعلى من سلطة القاضي والمحتسب ، تعرض عليه القضايا التي يعجز فيها القاضي عن تنفيذ حكمه في رجل من الأعيان أو الأشراف أو الحكام، وقد تم تقسيم اختصاصاته من حيث مجالاتها إلى نوعين :

النوع الأول : ما يجوز له النظر فيه من تلقاء نفسه ودون أن يرفع إليه متظلم ظلامته ، ويتمثل في الأمور التالية :

اختصاصات الناظر في المظالم

كانت سلطة القاضي موزعة بينه وبين المحتسب وقاضي المظالم ، فوظيفة القاضي فض المنازعات المرتبطة بالدين بوجه عام ، ووظيفة المحتسب النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات أحيانا ، مما يستدعي الفصل فيها إلى السرعة ، ووظيفة قاضي الظالم الفصل فيما استعصى من الأحكام على القاضي والمحتسب .

وكان القضاء والحسبة يسندان في بعض الأحيان إلى رجل واحد مع مابين العملين من التباين ، فعمل القاضي مبني على التحقيق والأناة في الحكم ، أما عمل المحتسب فمبني على الشدة والسرعة في الفصل .

والحسبة هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تحقيقا لقوله تعالى : {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}

وتأكيدا للسنة النبوية ، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام :"لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب " ، وهذا يعني أن الحسبة نفل على جميع أفراد الأمة الإسلامية و وواجب على من يتولاها ، أي على المحتسب .

وقد وجدت النواة الأولى لقضاء الحسبة في العهد النبوي، إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتفقد أحوال الناس في مختلف شؤونهم، ويراقب تطبيق دين الله وشرعه في الحياة ، ويحرص على منع المنكرات والفواحش والغش ، ومن ذلك طوافه في السوق ، ومراقبته للأسعار، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال : أصابته السماء يا رسول الله ، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني ، وفي رواية أخرى : من غشنا فليس منا "

وروي أيضا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام ولى سعيد ابن العاص على السوق بعد فتح مكة لمراقبة بيع الطعام ، وأن سمراء بنت نهيك الأسدية كانت تمر في الأسواق على عهده صلى الله عليه وسلم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بسوط معها .

وسار على هذا المنهج صحابة رسول الله وولاته في الأمصار وقضاته في مختلف المدن الإسلامية ، واستقر ذلك في نظام الحكم الإسلامي وأحكام القضاء والفقه ، فأدخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظام الحسبة في الإسلام بصورة دائمة ، واستعمل عبد الله بن عتبة على سوق المدينة ، وأم الشفاء الأنصارية على السوق ، وكان يطوف بنفسه في الشوارع والأسواق ويستخدم الدرة في معاقبة المخالفين ، ويروى في هذا الصدد أنه رضي الله عنه ضرب جمالا وقال له : " حملت جملك مالا يطيق "

ويفهم من بعض الروايات التاريخية أن الحسبة عرفت كذلك في عهد الخلافة الأموية وعلى أيام الخليفة يزيد بن عبدالملك (١٠١-١٠٥ هـ / ٧٢٠-٧٢٤ م) بالذات ، فقد كان مهدي بن عبد الرحمن ثم إياس بن معاوية محتسبين في واسط وعاصم الأحول على حسبة الكوفة .

وبالرغم من ذلك فقد أجمع الباحثون في موضوع الحسبة على أن هذه الوظيفة كنظام لم تحدد معالمها إلا في العصر العباسي وذلك بعد ظهور المذاهب الفقهية ، وازدهار التجارة وتقدم الصناعة ، وظهور الحاجة إلى مراقبة التجار ومختلف المتعاملين في الأسواق ، وإن كانوا قد اختلفوا فيما بينهم بشأن الخليفة الذي استقرت في عهده ، وفي ذلك يشير الطبري إلى أن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عهد بحسبة بغداد والأسواق إلى أبي زكريا يحيى بن عبد الله عام ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م .

وقد عمدت الدولة إلى تعيين المحتسب ، وتطورت وظيفته من مراقبة الأسواق فحسب إلى مراقبة النظام العام والمصالح العامة مثل مراقبة الأخلاق والسلوك والتصدي للمخالفات الدينية والاقتصادية ، وباتساع الدولة الإسلامية

زادت الأعباء الملقاة على عاتق المحتسب ، وأسندت إليه عملية معاقبة المخالفين بعقوبات التعزير مثل : كسر آلات الطرب ، وإراقة الخمر ، والتوبيخ بالقول أو الضرب أو النفي والتشهير بحسب المخالفة ، يساعده في عمله أعوان من الموظفين يعملون تحت إمرته .

ويذكر البعض أن الغرض من شرع الحسبة في النظام القضائي هو أن النفس البشرية نزاعة للشر أكثر منها للخير، فلو ترك كل شخص وهواه يأتي من الأفعال ما يبتغي ، ويقصدون حدا ليتعداه ، وقيدا ليتجاوزه، ولم يمنع من اعتداءاته على الغير، ولم يكن للخير داع ولا للمنكر رادع، ولا للشر زاجر؛ لعمت الفوضى وساءت الأحوال، واضطرب الأمر وشاعت الضلالة، واستشرى الفساد وضربت البلاد، ولمنع هذا الفساد والحد من طغيانه، وتحقيقا لمصلحة العباد، شرعت الديانات وقامت النبوات، وظهرت الرسالات آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر ليتحقق للناس الأمن والسلام والاستقرار والنظام والنجاة من العذاب ، يقول سبحانه وتعالى {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} الأعراف ١٦٥.

تتطلب اعمال المحتسب شروطا خاصة وصفات شخصية يجب أن تتوفر فيمن يشغل هذه الوظيفة حتى يكون قدوة ويملك من الإمكانات والكفاءة ما يساعد على أداء مهامه بمهارة ، وتتمثل هذه الشروط فيما يلي :

اولا: ان يكون مسلما حرا بالغا .

ثانيا: ان يكون عاقلا وذكيا وعادلا

ثالثا: ان يكون ذا رأي سديد مهتما بالالتزامات الشرعية وتنفيذها

رابعا : ان يكون سريع الحل للمنازعات والمخالفات .

خامسا : ان يكون ذا معرفه تامة بالأحكام الشريعة الإسلامية

سادسا : ان يكون ملما بالصحة والاقتصاد والمصالح العامة

سابعا : ان يكون حاذقا بالأمور الاجتماعية .

ثامنا : ان يكون عدلا ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين .

تاسعا : ان يكون عالما بالمنكرات الظاهرة ، عفيفا عن اموال الناس ، لا يخالف قوله فعله .

عاشرا : ان يكون لين القول ، طلق الوجه ، سهل الاخلاق ، كي يكون ابلغ في استماله القلوب وحصول المقصود .

حادي عشر : ان يكون خالص النية ، بعيدا عن الرياء ، حتى يكون له في القلوب مهابة وجلاله

اختصاصات المحتسب وواجباته :

ملخص اختصاصات المحتسب تندرج تحت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشمل خمسه انواع

النوع الاول :ما يتعلق بحق الله في الجماعة، كترك صلاة الجمعة في مكان مسكون به عدد من تجب بهم صلاة الجمعة اتفاقا، فان المحتسب يأمرهم بإقامتها او يعزرهم على تركها، ان هم لم يستجيبوا لذلك.

النوع الثاني : ما يتعلق بحق الله في الافراد ، كتأخير الصلاة عن وقتها ، فانه اذا كان اهمالا ادبه ، وكذلك اوامره بالمعروف في حقوق الله تعالى .

وفي ضوء هذه الانواع الخمسة يمن تحديد واجبات المحتسب تفصيلا على النحو التالي :

اولا: الواجبات الدينية :

يقوم المحتسب بمنع شرب الخمر ، والحرص على اقامة الصلاة في اوقاتها ، والاهتمام بالمساجد ونظافتها ، والاهتمام بحرمه شهر رمضان المبارك والصيام فيه ، ومنع المجاهرة بأعمال اللهو ، ومراقبه تصرفات اهل الذمة ، والإشراف على الجنائز والمقابر ، مراقبة ما حرم على الرجال من اللبس كالحرير والديباج ، ومن استعمال الذهب والفضة المحرمة في الاسلام .

ثانيا : الواجبات الاجتماعية :

واجب المحتسب الاهتمام بحقوق الارامل والأيتام ، والرفق بالحيوان ، ومعاقبه الشحاذين القادرين على العمل ، ومراقبة حالة الدور وعدم مضايقتها للناس فلا يجوز اخراج جدار او دكان الى عرض الشارع ، والاهتمام بالمجاري والمياه القذرة، وضمان عدم مضايقة المارة ، ونظام الحارات والطرق ، وحفظ الصحة العامة في المدينة وضمان سلامة التعليم وعدم القسوة على الصبيان في الكتاتيب .

ثالثا : الواجبات الاقتصادية :

يقوم المحتسب بمراقبة الاسواق ونظافتها ودقة الموازين والمكاييل وسلامة العملة من الغش ومراقبة الفرانين والشوائين والطباخين والجزارين وصانعي الحلوى والخياطين والصباغين والصيارفة والعطارين والبزازين والحدادين والاساكفة والبياطرة والاطباء وغيرهم، ومن دخول احمال الحطب او التبن او الرماد او السماد الى السوق لأنها تسبب الاقذار ومنع الجهال من مزاولة صناعة لا يجيدونها .

وقد جرت العادة ان يولي المحتسب عنة نوابا في سائر المدن والأقاليم، يتولون اعمال الحسبة فيها كما كان يستعين في تصريف اعماله بمعاونين له ، كان يختارهم من بين اصحاب الحرف المختلفة ليشرف كل واحد على احوال طائفته ، ويطلعه على اخبارهم وحيلهم وطرق غشهم حتى يتسنى له مراقبتهم .

ولم تقتصر وظيفة الحسبة على المشرق الاسلامي ، بل عرفة ايضا ضمن النظم القضائية في المغرب الاسلامي ، فقد وجدت في الاندلس حيث كانت تعرف في بادئ الامر بولاية السوق او احكام السوق ، وكان متوليها يسمى بصاحب السوق ، اما لفظة المحتسب فلم تعرف في الاندلس إلا في فترة متأخرة وكانت الوظيفة اكثر تحديدا وأهمية منها في المشرق الاسلامي ، لأنها كانت تقوم على الضرورات التي تقتضيها الحاجة الحقيقية بدليل ان ملوك اسبانيا كانوا كلما سيطروا على اقليم اقروا المحتسب في عمله ، كما استمر العمل بالحسبة في مدن المغرب .

وقد كان للمحتسب سلطة تنفيذية مفوضة الى رأيه وهو ما عرف بالتعزير كالردع بالقضاء على شيء محرم ، والتوبيخ بالقول او الضرب بالسوط او الدرة والتشهير او التجريس بان يلبس المشهر به طرطورا منقوشا بالخرق الملونة ومكللا بالودع والأجراس ، ليطاف به في الشوارع .

أثر الحسبة في المجتمع

تختلف النفوس البشرية في حبها للخير ، وميلها عنه ، فهناك نفوس خيرة يقودها التناصف إلى الحق ، ويزجرها الوعظ عن الظلم ، ونفوس متجورة لا يقودها إلى الاحسان إلا العنف ولا بثنيها عن الشر إلا الشدة والخوف ومن لم تصلحه الكرامة يصلحه الهوان .

فالمجتمع بما في افراده من تباين في الاخلاق وتنافر في الطباع ، يحتاج إلى اللين مرة والشدة مرة اخرى وإلى العنف تارة والإرشاد تارة اخرى ، وللحسبة أثر طيب في النفوس الكريمة والتوجيه الحميد لذوي القلوب الطاهرة، وحتى النفوس الجامحة كثيرا ما يؤثر فيها الوعظ ، ويلطف من جموحها الارشاد وهذا أمر مشاهد ملموس، فإذا ما اهتم اولوا الامر بالحسبة وأولوها عنايتهم ، واختاروا لها الأكفاء جنوا أطيب الثمرات، وحصلوا على أفضل النتائج .

==========

المحاضرة التاسعة

عناصر المحاضرة

١. **تمهيد**
٢. **تعريف الحجابة**
٣. **نشأتها**
٤. **تطورها في الدولة الاسلامية**
٥. **الكتابة**
٦. **نشأتها وتطورها في الدولة الاسلامية**

التاسعة

الحجابة والكتابة

تمهيد

الحاجب هو من يقف على باب الخليفة ليدفع الناس عنه لا يشغلوه عن ممارسة اعماله اليومية ، وهو ما ذكره ابن خلدون بمدافعة الناس ذوي الحاجات عنه أن يزدحموا عليه ، فيشغلوه عن مهمته.

وقد عرفت الحجابة في مكة قبل الإسلام، وكانت تعني حراسه الكعبة وحفظ مفتاحها، لكنها في الإسلام عرفت بدلالة جديدة، إذا أصبح الحاجب يطلق على من يقوم بين الحاكم وبين الناس ويطلب لهم الإذن لمقابلته وينظم الاتصال له، ولدلك كان من الطبيعي أن يكون على صلة وثيقة به.

وفي عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) لم يؤثر عن أحد منهم استعماله لوظيفة الحاجب، فلم يمنعوا أحد من الدخول عليهم، بل كانوا يخاطبون الناس على اختلافهم بلا حاجب، وهو ما يؤكده ابن خلدون بقولة : "وأما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم (أبواب الخلفاء الراشدين) فكان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه" وذلك لأنهم كانوا يميلون إلى حياة البساطة ، ويتمتعون بحسن المعشر بالنسبة للرعية ، فقد فتحوا لهم أبوابهم وقلوبهم ، وكان أفراد الرعية يدخلون عليهم ليلا ونهارا ، يقضون لهم حاجاتهم ، ويقيمون العدل بينهم على أساس من المساواة، وهو ما يذكرنا بقول رجل حين مر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو نائم تحت ظل الشجرة بلا حارس أو حاجب: " حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا

عمر " فهذه العبارة توضح لنا حقيقة مؤداها أن الحاكم إذا حسنت علاقته برعيته، وحكم بين أفرادها بالعدل أمن على نفسه.

ولما انتقلت الخلافة إلى بني أمية ، وبعد حادثة الخوارج مع علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص . اتخذ معاوية وبعده خلفاء بني أمية الحجاب خوفا على أنفسهم من أن تصل إليهم يد تغتالهم غدرا، وتلافيا لازدحام الناس على أبوابهم وشغلهم عن النظر في مهام الدولة.

وقد كان الحاجب يشغل منصبا ساميا في البلاط الأموي ويقوم بإدخال الناس على الخليفة بحسب أهمية مراكزهم . لكنه كان يبيح الدخول لثلاثة في أي وقت شاءوا ، كما ورد في وصية الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حينما ولى حاجبه إذ قال له :"قد وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاثة: المؤذن للصلاة فإنه داعي الله ، وصاحب البريد فأمر ما جاء به ، وصاحب الطعام لئلا يفسد" كما أوصى الخليفة نفسه أخاه عبد العزيز بن مروان _

واليه على مصر بالحاجب ، فقال له :"أبسط بشرك ، وألِن كتفك ، وآثر الرفق في الأمور فإنه أبلغ بك . وانظر فليكن من خير أهلك ، فإنه وجهك ولسانك ، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده ".

وقد اقتدى العباسيون بالأمويين في اتخاذ الحجاب ، بل نجدهم أسرفوا في منع الناس من المقابلات الرسمية، ولعل هذا هو السبب المباشر في نشأة ما أسماه ابن خلدون " الحجاب الثاني " فكان بين الخليفة والناس حاجزان وهما عبارة عن دارين إحداهما يقال لها دار الخاصة ، والأخرى دار العامة ، وكان الخليفة يقابل كل طائفة بحسب حالتها وظروفها في مكان معين في إحدى هاتين الدارين تبعا لما يراه الحجاب الواقفين على أبوابهما.

ولما أصاب الخلفاء العباسيين الضعف ، رأى المتغلبون عليها أنه من المستحسن أن يزيدوا حاجبا ثالثا، لكي يحجب السلطان من العامة ، والعامة من السلطان حجبا تاما ، ولذلك أحاط الحجاب الثالث نفسه بهالة من الإجلال والتقدير ، وقوي نفوذه وسلطانه في الدولة ، وعلت مرتبته، وأصبح بمثابة المستشار الفعلي للخليفة في الشؤون الهامة ، واستطاع بالأمور ، ويحولون دون تنفيذ القرارات التي لا ترضيهم.

ومن ابرز الحجاب الذين تبوأوا مكانة رفيعة في العصر العباسي ، وكانت لهم كلمتهم المسموعة لدى الخلفاء ، الفضل بن الربيع الذي أوقع بالبرامكة عند الرشيد وكان له أثر ظاهر في وقوع الخلاف بين الأمين وأخيه المأمون ووصل اهتمام الخلفاء بمن يتولون هذه الوظيفة أنهم كانوا يستشيرون المقربين اليهم فيمن يقع عليه الاختيار أو التعيين لشغلها من ذلك استشارة الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٧م) لابن أبي دؤاد وسؤاله : من أولى الناس لمولاه، فقال له " مولى شفيق ، يصون لطلاقة وجهه من ولاه . ويستعبد الناس لمولاه ، فنظر.

الواثق إلى إيتاخ – وكان واقفا على رأسه فقالوا: قد ولاه أبو عبد الله الحجبة، فكان إيتاخ يعرف ذلك ويتقدم بين يديه إلى أن يبلغ مرتبته وكان للحجابة عند العباسيين قوانين ورسوم أوضحها هلال الصابئ في كتابه " رسوم دار الخلافة " وصار يشغل هذه الوظيفة أفراد من العسكريين ذوي القدر الرفيع والرتبة العالية، وإتاحة هذه الوظيفة لمن يشغل فرصة للتحكم فيمن يحجبه من جهة المحكومين من جهة أخرى ، كما تهيات الظروف لبعض الحجاب في أن يغتصبوا السلطة، ويؤسسوا دولا واسرا حاكمة ، فكان سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية حاجبا لنوح الثالث ثم لا بنيه منصور وعبد الملك رؤوس الدولة السامانية ، وظل سبكتكين هذا يلقب بالحاجب حتى بعد توليه الملك.

وفي عصر السلاجقة استمرت وظيفة الحاجب من الوظائف الرئيسة ، كما كان الحاجب يعد من أهم رجال البلاط ، وصار واسطة بين السلطان والوزير ، فهو الذي يتلقى الأوامر شخصيا من السلطان ويبلغها إلى الوزير وأعيان المملكة ، ويرفع أيضا المطالب إلى السلطان.

وقد كان الحاجب الأعظم (حاجب بزرك) يشرف على امور البلاط، وكثيرا ما كان يتدخل في امور الدولة ويستبد بها دون الوزير ، ويرجع إليه رؤساء الدواوين في المسائل المتعلقة بدواوينهم ، وصار يسمى بأمير حاجب مما يدل على قوة شوكته ، كما عين له نائب ، واستطاع بعض هؤلاء الحجاب أن يؤسسوا أسرا حاكمة مثل قسيم الدولة آق سنقر الحاجب والد عماد الدين زنكي رأس الأسرة الزنكية التي حكمت الموصل وغيرها كما حقق كثير من الحجاب في العصر السلجوقي درجة كبيرة من الثراء والسلطة والنفوذ بحيث استطاعوا أن يشيدوا عمائر فخمة حملت أسماءهم ، ومنهم من كان يسند إليه مهمة الإشراف على تشييد بعض العمائر بالإضافة على مهام وظيفته

وعن طريق الأتابكيات والدولة النورية انتقلت وظيفة الحاجب إلى الدولتين: الأيوبية والمملوكية في مصر والشام . إذ ان لقب الحجابة لم يعرف في الدولة الفاطمية بل كان يلقب من يقوم بمهام هذه الوظيفة "صاحب الباب".

وفي عصر المماليك اتسعت سلطة الحاجب في مصر حتى وصلت درجه التدخل في الأحكام الشرعية ومزاحمة قضاة الشرع فيها ، كما زادت أعدادهم زيادة كبيرة وصاروا ينقسمون ألى درجات متفاوتة وقد وضع القلقشندي صاحب كتاب "صبح الاعشى في صناعة الأنشا " الحجابة في المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية . وكان صاحبها يعرف بحاجب الحجاب .

وكان يعاون حاجب الحجاب هذا عدد آخر من صغار الحجاب وصل عددهم في أواخر عهد هذه الدولة إلى ما يقرب من عشرين حاجبا، ويفهم من مصادر العصر المملوكي أن عملهم لم يقتصر على استئذان السلطان للمقابلة، بل شمل مهاما أخرى كثيرة: كالركوب أمام السلطان في المواكب السلطانية ، وإبلاغه حاجات الناس ومطالبهم ، وتقديم ما يرد وما يعرض إلى السلطان ، وعرض الجند، والحكم بين الأمراء والجند في المسائل الديوانية وأمور الإقطاعات ، والمشكلات غير الشرعية.

وفي غرب العالم الإسلامي تطور مدلول الحاجب واختصاصاته. ففي بداية الامر ، كان الحاجب في الدولة الأموية بالأندلس يقوم بالوساطة بين الخليفة ووزرائه، ثم أخذت سلطة الحاجب في الاتساع حتى أصبح أرفع الوزراء شأنا ، وصار يسمى بذي الوزارتين ويشرف على الشؤون المدنية والعسكرية، وزاد نفوذه أكثر من ذالك حتى استبد بالأمر وسيطر على الخليفة، وبذلك صارت إليه أمور الدولة في أواخر الخلافة الأموية بالأندلس.

ولما ولي الحجابة المنصور محمد بن أبي عامر في عام ٣٩٢هـ حجر على الخليفة الطفل المؤيد هشام الثاني (٣٦٦-٣٩٩هـ /٩٧١-١٠٠٩م) واتخذ الزاهرة عاصمة جديدة بناها بدلا من الزهراء وظل المنصور محتفظا بلقب الحاجب بالرغم من استبداده بالسلطة، كما خلفه أبناؤه الذين احتفضوا أيضا بلقب الحاجب ألى أن سقطت الدولة العامرية عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م

وكذلك احتفظ ملوك الطوائف بالأندلس بلقب الحاجب، رغم تلقبهم بألقاب الخلافة، وصار لقب الحاجب في عهدهم يعني الحاكم الشرعي والملك والخليفة أو صاحب السلطان الاول في الدولة .

الكتابة

ظهرت الكتابة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك عندما قام نفر من الصحابة بتدوين الوحي وهم : عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وسعيد بن العاص - رضي الله عنهم جميعا - ، فقد كانوا يكتبون القرآن الكريم ، ويحررون الكتب التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث بها إلى الملوك وأمراء العالم آنذاك ، وتجلت أهمية الكتابة في هذه الحقبة بالذات لقلة أعداد من كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، فعرف هؤلاء الصحابة بين الناس بالكتاب .

وفي المصادرالتاريخية وصايا الى الكتّاب تعبر عن مدى الاهتمام بهم ، وارساء قواعد وتقاليد خاصه يسير الكتّاب على نهجها حتى يكون كل كتاب محققا للهدف الصادر من اجله ، ومن هذه الوصايا وصية علي بن أبي طالب إلى عبدالله بن رافع يقول له :"ياعبدالله ألق دواتك ، وأطل شباة قلمك ، وفرج بين السطور، وقرمط بين الحروف.

تطور الكتابة في العصور الاسلاميه

لما تولى ابو بكر الصديق رضي الله عنه منصب الخلافه ،عين كاتبا له يعينه على تحمل مسؤوليات الحكم،وما تتطلبه امور البلاد في الداخل والخارج من سياسة واحكام ،وهذا الكاتب هو عثمان رضي الله عنه الذي كتب عهد ابي بكر الى عمر بالخلافه كما سبقت الاشاره ، ثم سار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نهج سلفه ،فاتخذ زيد بن ثابت وعبدالله بن الارقم كاتبين له ،كما اتخذ عثمان بن عفان هو الاخر في خلافته مروان بن الحكم كاتبا له .

وفي العصر الاموي اتسعت الفتوحات الاسلاميه ،فازداد عدد الكتاب ، وتعددت وفقا لذلك تخصصاتهم ،فكان هناك :كاتب الرسائل ، وكاتب الخراج ،وكاتب الجند ،وكاتب الشرطه ، وكاتب القضاء.

وكان كاتب الرسائل من اهم هؤلاء الكتاب في المرتبه حيث كان الخلفاء لا يولون هذا المنصب الا من يثقون فيه من خاصتهم واقربائهم ، تطبيقا لمبدا التعصب الذي سار عليه خلفاء بني اميه ،وقد لمعت في هذه العهد أسماء لبعض الكتاب مثل زياد بن ابيه ،كاتب ابي موسى الاشعري ،وسالم كاتب هشام بن عبد الملك ،وعبد الحميد الكاتب كاتب مروان بن محمد.

بالرغم من حرص الامويين على تقديم الاقربين لشغل هذه الوضيفه ،فقد روعي اختيار الثقات والاكفاء بسبب خطورة هذا المنصب، ومدى مايتعلق به من خطط الدوله واسرارها ، فكاتب الرسائل هو المطلع على اسرار الدوله ، وهذا يفسر قول ابن خلدون بضرورة اختيار الكاتب من ارفع طبقات الناس ،واهل المروءه والحشمه ،بالاضافه الى زيتدة علمه ، وعارضة البلاغه لديه .

وقد تضمنت وصية عبدالحميد الكاتب (كاتب الخليفة مروان بن محمد) التي سجلها في رسالة بعث بها الى زملائه في المهنة ماينبغي أن يكون عليه الكاتب من صفات تتلاءم مع مقتضيات هذه الوظيفة إذ يقول عن الكاتب أن يكون حليماً في موضع الحلم فهيما في موضع الحكم مقداما في موضع الإقدام محجما في موضع الإحجام مؤثرا للعفاف والعدل والإنصاف كتوما للأسرار وفياً عند الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق أماكنها كما نهى الكاتب عن (المطامع سنيها ودنيها وسفاسف الأمور ومحاقرها فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب وأن ينزهوا صناعتهم (الكتابة) عن الدناءة وأن يربأوا بأنفسهم من الغيبة والنميمة وأن يتجنبوا الكبر والسخف والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة))

وفي العصر العباسي كان ديوان الرسائل من الدواوين الهامة في الدولة وكانت مهنة صاحب هذا الديوان الذي الذي لايقل مركزه عن مركز الوزير إذاعة المراسيم والبراءات ،وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخلافة بعد اعتمادها من الخليفة ،ومراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية وختمها بخاتمة ،كما كان كاتب الرسائل يجلس مع الخليفة في مجلس القضاء للنظر في المظالم ،وختم الأحكام بخاتم الخليفة.

وقد جرت العادة أن يتسلم الشاكي أو المدعي صورة من الحكم ،ثم تحفظ الصورة الأصلية في دار السجلات ،واقتضت طبيعة العمل المتصل بهذا الديوان وماله من اهميه وخطوره، وحرص الخلفاء ان تدون الرسائل باسلوب بليغ ،ان كان الخلفاء يختارون لرجال الادب من اعرق الاسر ممن عرفوا بسعة العلم ورصانة الاسلوب لهذه المهمه، خصوصا وانه يقوم بتحرير الرسائل الرسميه والسياسيه في داخل الدوله وخارجها ،بالاضافه الى تولي نشر المراسيم والقرارات والبلاغات والتراتيب الاداريه بين الناس.

وزخر العصر العباسي الاول بطائفه من الكتاب المتميزين ،فاشتهر يحيى بن خالد البرمكي والفضل بن الربيع في عهد

الخليفه هارون الرشيد ،والفضل والحسن ابنا سهل واحمد بن يوسف في عهد الخليفه المامون ،واشتهر محمد بن عبد الملك الزيات،والحسن بن وهب ،واحمد بن المدير في خلافتي المعتصم والواثق.

وفي هذا الصدد تاثر العباسيون _كما جرت العاده بالنسبه لهم –بما كان عليه في حال الكتابه عند الفرس ،إذ يفهم من المصادر الادبيه ان الفرس غلبوا على الكتابه منذ وقت مبكر سابق على قيام الخلافه العباسيه ،وان عددهم زاد بصوره واضحه في ايامها ،حيث احتل المحررون اقرب المواطنه من الخليفه ،وانهم كانوا يستخدمون في تسطير كتاباتهم الورق والكاغد وانواع من الجلود والادم ، وكان ملوك فارس يسمون كتاب الرسائل تراجمة الملوك ،ويقولون لهم :لاتحملنكم الرغبه في تخفيف الكلام على حذف معانيه ،وترك ترتيبه ،والابلاغ فيه ونوهين حجمه .

ومن هذا المنطلق كان اهتمام العباسيين بالكتابه والكتاب ،وبالرغم من ذلك فقد تولى وظيفة الكاتب في بعض الاحيان افراد غير ملمين بصناعة الكتابه الالمام الكافي حتى انهم تعرضوا لسخريه بعض الشعراء فقالو عنهم :

تعس الزمان لقد اتى بعجاب ومحا صنوف العلم والاداب

واتى بكتاب لو انطلقت يدي فيهم رددتهم الى الكتاب

واحيانا واخرى كان بعض الكتاب موضع تهكم ،ايضا،من خلال اتهامهم بالرشوة ،والتوسط للبعض ظلما ،ومشاركة عمال الاقاليم فيما ياتيهم من الهدايا ،ومن هذا القبيل رساله للجاحظ خصصها لكتاب عصره قال فيها :"ان اقبح الكتابه بني على انه لايتقلدها الاتابع،ولا يتولاها الامن هو في معنى الخادم"،كما شبه الكتاب بالارقام الاغبياء ،وضرب مثلا في السفه بعمر بن فرح ،وكان من اعيان الكتاب في ايام كل من المامون والمتوكل ،وفي الطيش والسخافه بنجاح بن سلمه في خلافة المتوكل ،وفي اللؤم والجهاله باحمد بن الخصيب كاتب الخليفه الواثق .

ولم يفت الجاحظ ان ينوه ايضا باتخاذ الكتاب مظهر خاصا فيما يرتدونه من زي وفي حجامة شعورهم ،ولذلك لفرط مافي نفوسهم من غرور وصلف،اذ كانو يعرضون جبابهم ،ويطيلون من ذيولها ،ويعقصون على خدورهم ،حتى ليظن الواحد منهم في نفسه انه التابع والسيد،وليس المتبوع والممتلك.

بيد ان هذه الصوره المشينه التي رسمها الجاحظ لبعض كتاب عصره ، لم تمنعه من الاشاده بعنايه اغلبهم باللغه العربيه، وحرصهم الدقيق في اختيار الالفاظ، وتجنبهم مايكون منها متوعرا وحشيا او ساقطا سوقيا ،وكذلك عنايتهم بانتخاب معانيهم لتكتمل عندهم صفات البيان الحسن ،وقد ساعدهم على ذلك ما اصاب ذوقهم من ترف الحضاره ،شانهم في ذلك شان نابهي الشعراء – على حد تعبيره .

وقد طرا على منصب الكاتب تغيير مهم في عهد الخليفه العباسي الراضي (٣٢٢-٣٢٩ه/٩٣٢-٣٣٩م)على يد محمد بن رائق الذي سلب الخليفه سلطته في عام ٣٢٤ه/٩٣٦م ،وقيد سلطة الوزير ،وابطل الدواوين ،وصار هو وكاتبه ينظران في الامور جميعها وظلت الحال كذلك بالنسبه لمن ولي الاماره بعد ابن رائق ،اذ اتسعت سلطات كاتب امير الامراء في عهد بني بويه ،وصار له الاشراف على سائر الموظفين والكتاب ،كما احتفظ الغزنويون بالنسبه للكتاب بالنظام الذي كان سائد في الدوله العباسيه في ذلك الوقت ، كان كاتب السلطان قوي النفوذ يستشيره السلطان في شؤون الدوله من تعين الولاة الى تسيير الجيوش،وظلت الحال على هذا المنوال في دولة السلاجقه حيث اشتهر الى جانب كاتب الرسائل ،كاتب الخراج،وكاتب الجند،ونشات في عهد نظام الملك طبقة الكتاب الجياد الذي فرعوا المناصب وولوا المراتب.

وفي الولايات الاسلاميه التي استقلت عن الدوله العباسيه ،كان الكتاب يسيرون على نهج كتاب الخلافه ووفقا لانظمتهم ،فمثلا كان الكتاب في مصر ينقسمون الى قسمين اساسيين هما :كتاب الخراج او المال ويتولون كتابة حساب الاموال

،وكتاب الرسائل ويتولون تحرير رسائل الوالي ،وقد كان ولاة مصر في العهد الطولوني يستعينون بالكتاب ،الذي كانوا يؤدون اعمال الوزير وان لم يطلق عليهم هذا الاسم ،واتخذ احمد بن طولون احمد بن محمد الواسطي كاتبا له ،ولما انفذه الى سامراء ،حاضرة الدوله العباسيه انذاك ،اتخذ رجلا من اهل مصر كاتبا له ،ضاربا عرض الحائط بنصيحة الوزير احمد بن خاقان ،مبينا انه يفضل الكاتب المصري على الكاتب البغدادي ،لانه ابن البلد وبه بطانته،فيقول :"اصلح الاشياء لمن ملك بلدا ان يكون كاتبه منه :ان تكون بطانة الكاتب وحاشيته في ذلك البلد ،فبعود مرفقه على فريق من اهله ،ومنها رغيته في اعتقاد المستغلات به صفاقا(ضمانا)لجناياته وهو مع هذا وشمله ظاهرون ومستقرون في خدمتي (أي خدمة ابن طولون)والكاتب العراقي ليس كذلك ،لانه يعتقد المستغلات في بلدة النائي عنه وعنى ،ومن يشيرعليه ان يعمر بلده الذي يعمل فيه وهو في كل وقت متطلع الى بلده،فبهذا السبب زهدت في كتاب (سر من راى)سامراء،مع علمي بتقدمهم في الكتابه والرجاحه ،فصولت رايه ورايت عذره"،ويعلق البعض على ذلك بان احمد بن طولون نهج هذه السياسه ليتالف بعا قلوب المصريين ،لانهم ادرى بمصلحة بلادهم،واحرص على تقدمها ورقيها.

وفي العهد الفاطمي كانت الكتابه تلي الوزاره في الرتبه ،فقد كانت احدى المناصب العاليه التي كان الخلفاء لايسندونها الا لمن انسوا فيهم الكفايه والقدره على معالجة الامور،كما كانت الخطوه الاولى الى الوزاره اذا ما حاز صاحبها رضاء الخليفه ،وكان الكاتب يسمى احيانا صاحب الوساطه.

وفي الدولتين :الايوبيه والمملوكيه ،كان للكاتب والكتابه مكانه متميزه ، فقد ترك لنا الكتاب كثيرا من الرسائل التي تمتاز بغزارة الماده التاريخيه ،كما تمتاز بسلامة الاسلوب ووضوحه،واصبح صاحب الانشاء في عهد المماليك بوجه خاص من كبار موظفي الدوله ،وكانت مهمته تسلم المكاتبات الوارده وعرضها على السلطان لبحثها واعتمادها ،ثم تولي الرد عليها.

وقد عرفت وظيفة الكاتب في غرب العالم الاسلامي ايضا ،ففي بلاد الاندلس كانت على غرار ما كان موجودا في شرق العالم الاسلامي ، ويفهم من المصادر التاريخيه المعاصره ان وظيفة الكتابه هناك كانت تسند الى الحاجب بالاضافه الى واجباته الاساسيه.

==========

المحاضرة العاشرة

النظام الإداري في الإسلام

عناصر المحاضرة

١. **تمهيد**
٢. **الإدارة في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .**
٣. **النظام الإداري في عصر الخلفاء الراشدين .**

تمهيد

بدأ الفكر الإداري الإسلامي يتبلور منذ أن أنزل الله سبحانه وتعالى رسالته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

يقول الله تعالى (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) .

وكان الفكر الإداري يستند إلى نصوص القرآن الكريم ، وتوجيهات السنة الشريفة ، ويقوم على أساس من القيم الإنسانية ، التي كانت تسود المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت ، تلك القيم التي لا يزال الفكر الإداري المعاصر يلهث للوصول إليها ولكنه يعجز لأنه لا يهتدي بشريعة سماوية تتصف بالكمال والشمول والحق .

الادارة في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الامـــــــــارة:

بعد ظهور الاسلام، وقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة بدأ في ارساله عماله لتلقين العرب مبادئ الدين، وجمع الصدقات منهم، واذا وفد عليه وافد يعهد اليه ان يعلم قومه دينهم، خصوصا اذا كان الوافد رأسا في قبيلة.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى اليمن فقال له "أنك تقدم على قوم أهل كتاب،فليكن أول ماتدعوهم اليه عبادة الله تعالى، فاذا عرفوا الله تعالى، فأخبرهم ان الله تعالى فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فان هم أطاعوا لذلك، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم،واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب."

وكتب الى عمرو بن حريث عامله على نجران كتابا في الفرائض والصدقات والديات،وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخير عماله على المناطق من صالحي أهله السابقين في الاسلام،كما كان يفتشهم،ويسمع ما ينقل اليه من أخبارهم، وقد عزل العلاء بن المغيث الحضرمى،عامله على البحرين، لان وفد عبدالقيس شكاه وولى أبان بن سعد، وقد رفض طلبا للصحابى الجليل أبى ذر الغفارى ان يستعمله على ولاية من ولايات المسلمين لعدم توافر القوة المطلوبة فيه.

اختيار العمال:

كان ثلاثة أرباع عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى أمية، لانه انما طلب للأعمال أهل الجزاء والغناء من المسلمين، واستعمل ابا سفيان بن حرب على نجران، كما استعمل عتاب بن أسيد واليا على مكة ورزقه كل يوم

درهما يومىا، وكان هذا الراتب هو اول ماوضع من الرواتب للعمال، أما كبار الصحابة فكانوا يعطون مايتغلبون به من الغنائم وغيرها، ومنهم من كان غنيا فلم يأخذ راتبا.

ولقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بن ابى طالب الى بعض الوجوه فقال له فيما أوصاه "قد بعثتك وأنا بك ضنين فأبرز للناس وقدم الوضيع على الشريف، والضعيف على القوى، والنساء قبل الرجال، ولاتدخلن أحد يغلبك على أمرك، وشاور القرآن فانه أمامك".

وبذلك نرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع النواة الاولى للنظام الاداري في العالم الاسلامي، فاستطاع ان يسوس هذا المجتمع الناشئ على المبادئ والأسس التى أوضحناها، واستشار أصحابه واستعان بهم في تدبير أمور هذه الدولة الوليدة، كما بعث بعماله الى البلدان، والى القبائل التى دخلت في الاسلام ليقرؤهم القرآن، ثم بدأ يعينهم كما اوضحنا على القبائل والمدن نيابة عنه، ومن اهم ماقام به هؤلاء العمال الامامة في الصلاة، وجمع الصدقات، وتعليم الدين، والفصل في القضاء. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج للغزو أناب عنه بالمدينة أحد أصحابه لامامة الناس في الصلاة، كما كان ينيب عنه احيانا قائدا يقود سرية من السرايا.

الشورى والمشاركة:

لم يتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استشارة أهل الرأى والبصيرة ممن شهد لهم بالعقل والفضل وقوة الايمان والتفانى في بث دعوة الاسلام وكان مجلس الشورى يتكون من سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار،منهم حمزة وجعفر وأبوبكر وعمر وعلى وابن مسعود وسلمان وعمار وحذيفة وأبو ذر والمقدار وبلال،وسموا بالنقباء لانهم ضمنوا للرسول اسلام قومهم.

<u>التنظيم وتوزيع العمل: (كتّاب الرسول)</u>

استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بن أبى طالب كاتبا للعهود، وكان صاحب سرّه حذيفه بن اليمان، وأمين الاختام الحارث بن عوف، وكان خاتمة من حديد ملون وعليه فصة نقش فيه ثلاثة أسطر محمد في سطر، ورسول في سطر، والله في سطر.

ومن حفظة الخاتم أيضا حنظلة بن الربيع صفي، والذي عرف بأسم الكاتب، لانه كان خليفة كل كاتب من كتاب

النبي يغيب عن عمله، وكان معيقيب بن أبى فاطمة يكتب مغانم رسول الله صلى الله عليه وسلم،وكان عبدالله بن الارقم يجيب الملوك عن الرسول، والزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات، والمغيرة بن شعبه والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات، وكان زيد بن ثابت ترجمان النبى في الفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية، واليهودية، وناجيه الطفاوى ونافع بن طريف النوفلى يكتبان المصاحف، وحسناء أم سليمان بن أبى حنتمة تعلم النساء الكتابة، وعبادة بن الصامت يعلم أهل الصنعة القرآن، وكانت دار مخرمة بن نوفل بالمدينة تدعى دار القرآن.

النظام الاداري في عصر الخلفاء الراشدين:

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو اول من وضع النظام الاداري للدولة الاسلامية ونظم اداراتها، وكانت سياسته ترمى الى تماسك بلاد العرب وادماج بعضها في بعض لتكون أمة واحدة، وكما كانت سياسته ترمى الى عدم اختلاط العرب بأهالى البلاد التي فتحوها، حتى يحافظوا على نقاء جنسهم، وحتى لايشغلهم شاغل عن نشر الدعوة ورفع لواء الجهاد.

وتشمل مسؤوليات ليات الامارة سبعة أمور كما أوردها الماوردى في الأحكام السلطانية وهي:

1. **النظر في تدبير الجيوش وترتبيهم في النواحى وتقدير أرزاقهم.**
2. **النظر في الأحكام وتقليد القضاء والحكام.**
3. **جباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمال فيها، وتفريق ما استحق منهما.**
4. **حماية الدين، والذب عن الحريم، ومراعاة الدين من غير**

تغير أو تبديل.

5. **اقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين.**
6. **الامامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها.**
7. **تسيير الحجيج.**
8. **فان كان الاقليم ثغرا متاحا لعدو اقتران بها أمر ثامن وهو جهاد من يليه من الأعداء، وقسم غنائمهم في المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس.**

وقد أقر عمر بن الخطاب تعيين الولاة من قبله،وبالتالى بتكليفهم بأعمالهم،فأصبح الوالى مسئولا مسئولية مباشرة عن سير عمله أمام الخليفة،وكان للوالى غالبا مقرا في امارته يستقر فيه يسمى "دار الامـارة" للتخطيط النظرى لشئون المكلف بها وكان لذلك اهمية خاصة.

وقد دأب الخلفية على اذاعة الشروط على جماهير الناس في موسم الحج،يحضرها العمال،من الولايات المختلفة حتى يصبح الناس على بينة بالمسؤوليات الملقاة على عاتق العمال ويشتركوا في مراقبتهم، وكشف أي انحراف يطرأ على سلوكهم.

ولعل أوضح مثل على المركزية في الادارة هي ولاية مصر، فقد كان عمرو بن العاص أميرا عليها على حربها وصلاتها وخراجها حتى وفاة عمر بن الخطاب، وكان عمر يشهد لعمرو بحسن السياسة، وكان عمرو يعتز بهذه السلطات التي منحت له، ومع ذلك ظل نموذجا للأمير المسلم الخاضع للادارة المركزية وسلطاتها، الأمين على تنفيذ تعاليمها المباشرة، كما أنه في خلال السنوات الثلاث التى عاشها عمر بن الخطاب بعد فتح مصر قدم عليه عمرو مرتين، وتشير بين الخليفة ووالية حول استبطائه في الخراج على تدخل الخليفة في شؤون تعتبر من اختصاص عمرو كأمير على مصر.

وقد حافظ عثمان بن عفان رضى الله عنه على الأوضاع التي وضعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان اول كتبه الى الأمراء الاجناد قد جاء فيه "قد وضع لكم عمر مالم يغب عنا بل على ملأ منا ولايبلغنى عن أحد منكم تغيير ولاتبديل، فيغير الله مابكم ويستبد بكم غيركم" .

وكان أول كتبه الى اعماله، "فان الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم أن يكونوا جباة، وأن صدر هذه الأمة قد خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولايكونوا رعاة، فاذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا أن اعدل السيرة ان تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم، فتعطوهم مالهم وتأخذوا ماعليهم، ثم تثنوا بالذمة فتعطوها الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم" .

وسلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه طريقة من سبقوه في الأمارة، فكان يولى العامل ويطلق يده على على الجملة

أي يعطيه تفويضا اداريا كاملا في ولايته ثم يكشف حاله (أي يراقبه) وكان يدعو عماله الى الزهد والاقتصاد والتبلغ بمسيور العيش والرفق بالرعية.

ومما أوصى به عماله قوله "اذا قدمت عليهم فلا تبعين لهم كسوة شتاء أو صيف ولارزقا يأكلونه ولادابة يعملون عليها، ولاتضرب احدا منهم سوطا واحدا في درهم ولاتقمه على رجلة في طلب درهم ولاتبع لأحد منهم عرضا في شئ من الخراج فانما أمرنا ان نأخذ العفو منهم" .

وقد حاول على بن أبى طالب ان يضبط الأمور، ويهدأ الولايات ويقبض على زمام الحكم،بما عرف عنه من الورع والتقوى،والسيرة الصالحة،لكن الأمور اختلت واضطربت لما دار بين المسلمين من صراع سياسي وفتن ادت الى انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وقيام دولة الامويين

الدواوين في عصر الخلفاء الراشدين:

<u>أ-ديون العطاء:</u>

حارب المسلمون ابتغاء مرضاة الله لا يريدون على ذلك مالا ولاجزاء الامن عند الله، وقد بذل بعضهم كثيرا من ماله في وجوه البر والاحسان، ولم يفرض لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبوبكر عطاء مقررا، ولكن جرت العادة أنهم اذا غزوا بلدا من البلاد أخذوا نصيبهم من الغنائم، حسب ما قررته الشريعة، واذا ورد الى المدينة شئ قسمه

رسول الله عليهم بالمسجد، وجرى الأمر على ذلك حتى كانت سنة خمسة عشرة هـ، ولما توالت الفتوحات الاسلامية، وأصاب البلاد

الثراء والغنى بما حصلوا عليه من عائد الفتوح، ورأي عمر توزيع هذه الأموال على المسلمين مراعيا في ذلك مرتبتهم ومبلغ استحقاقهم

ويؤكد الفخرى في الآداب السلطانية ذلك بقوله: "كان المسلمون هم الجند،وكان قتالهم لأجل الدين لا لأجل الدنيا،- وكان لايزال فيهم دائما من يبذل شطرا صالحا من ماله في البر والقرب، وكانوا لايريدون على اسلامهم ونصرهم لنبيهم صلوات الله وسلامه جزاء الا من عند الله تعالى، ولم يفرض النبى صلوات الله عليه وسلامه ولا أبوبكر رضى الله عنه لهم عطاء مقررا، ولكن إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم، واذا ورد الى المدينة مال من بعض البلاد احضر الى مسجد الرسول صلوات الله عليه وسلامه وفرقه فيهم، على حسب مايراه صلى الله عليه وسلم، وجرى الأمر على ذلك مدة خلافة أبى بكرا" .

من هذا النص يتضح لنا أن توزيع العطاء كان يتم أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقتضى الشريعة وبدون وجود سجلات أو بيانات توضح مايستحقه كل مقاتل، ولكن بدأت في عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الدوله الاسلامية في الاتساع شرقا وغربا وضمت بين جنباتها شعوبا ذات أصول مختلفة، كالفرس والروم وأهل الشام والعرب، بل وبعد أن ازدادت ثروة الدولة الاسلامية نتيجة هذا التوسع، وما حصلت عليه من أموال الخراج والجزية، لذلك كان لابد من ايجاد نظام مستقر يسير عليه المسلمون في توزيع هذه الغنائم، فأمر عمر بن الخطاب بتدوين الدواوين.

ويروى ان الذي اشار على عمر بن الخطاب، بذلك بعض مرازبة الفرس الذين تواجدوا في المدينة المنورة، فقد وجدوه في حيرة من أمره، فيذكر اب طباطبا "أن أحدهم قال له، يا أمير المؤمنين ان للأكاسرة شيئا يسمونه ديوانا جميع دخلهم ومصروفهم مضبوط فيه ولايشذ منه شئ، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لايتطرق عليها خلل، فتنبه عمر رضى الله عنه، وقال: صفه لى، فوصفه المزربان،ففطن عمر لذلك، ودون الدواوين، وفرض العطاء".

وهناك رواية أخرى عن الطبرى "ان عمر استشار الناس في تدوين الديوان فقال له على بن أبى طالب، نقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال فلا تمسك منه شيئا، وقال عثمان بن عفان، أرى مالا كثيرا يسع الناس وأن لم يحصلوا حتى نعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر،فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونواديوانا وجندوا جنودا، فدون ديوانا وجند جنودا...فأخذ بقوله، فدعا عقيل ين أبى طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانو من نساب قريش، قال لهم: اكتبوا الناس على منازلهم" .

وفي رواية أن عمر استشار المهاجرين والانصار في تدوين الديوان وفرض العطاء، فأشاروا عليه به، ثم استشار المسلمين الذين اسلموا يوم الفتح فوافقوا عليه الا حكيم بن حزام، وكان من أشراف مكة ومن ذوى الأمر فيها، فقد قال: يا امير المؤمنين ان قريش أهل تجارة، متى فرضت لهم عطاء تركوا تجارتهم فيأتى بعدك من يحبس عنهم العطاء، فتكون التجارة قد خرجت من أيديهم" .

ومن تعدد الروايات في الظروف التي دفعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى انشاء ديوان العطاء، فان النتيجة واحدة، وهى أن الفاروق نهض بالدولة الاسلامية وادارتها وجعلها تساير ركب الحضارة والمدينة.

أما عن طريق تسجيل المقاتلة في سجلات ديوان العطاء فقد أوردها الفخرى بقوله: "أن عمر رأى أن يجعل العطاء حسب السبق الى الاسلام، والى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم في مواطن حروبه، ثم استخدم الكتاب في الدواوين وأمرهم بترتيب الطبقات وضبط العطاء، فقالوا: بمن نبدا يا أمير المؤمنين، فأشار بعض الصحابة عليه ان يبدأ بنفسه وقالوا: أنت أمير المؤمنين وتقديمك واجب فكره عمر ذلك وقال: ابدأوا بالعباس عم رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وبنى هاشم،ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة، وضعوا آل خطاب حيث وضعهم الله عز وجل، فاعتمد ماأشار به، وجرى الأمر على ذلك مدة خلافة، وخلافة عثمان رضى الله عنهما" .

وبذلك نرى أن القاعدة التى جعلها عمر أساسا لتوزيع العطاء تبدو واضحة في قوله، ما من الناس أحد الا له في هذا المال حق أعطيه أو أمنعه، وما من أحد الا له في هذا المال حق اعطيه أو أمنعه، وما من أحد أحق به من أحد الا عبد مملوك، وما أنا فيه الا كـأحدهم، وكلنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالرجل وبلاؤه في الاسلام، والرجل وقدمه في الاسلام، والرجل وعناؤه في الاسلام، والرجل وحاجته، والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه ومن هذا المال وهو مكانه" .

كذلك فرض عمر للناس جميعا لم يترك أحدا وأورد بن سعد في الطبقات رواية عن سالم بن عبدالله انه قال :" فرض عمر بن الخطاب للناس حتى لم يدع أحدا من الناس إلا فرض له حتى بقيت بقية لاعشائر لهم ولا أموال ففرض لهم مابين المائتين وخمسين إلى ثلاثمائة".

والحقيقه أن تدوين عمر للديوان وفرضه للعطاء فرّغ العرب للجهاد في سبيل الله، فحرم عمر على المقاتلة قسمة الأراضى في البلاد المفتوحة ، حتى لاينشغلوا بالزراعة عن الجهاد ، وحتى لا تجذبهم الأرض إليها فتنسيهم الرسالة الكبرى .

==========

المحضرة الحادية عشر

النظام الأداري في الخلافة

الاموية والخلافة العباسية

عناصر المحاضرة

١. **النظام الاداري في العصر الاموي**

سياسة خلفاء بني أمية مع ولاة الأمصار

الدواوين في العصر الأموي:

٢. **النظام الإداري في العصر العباسي**

سياسة خلفاء العصر العباسي الأول الإدارية

أنواع الولايات والإمارة على البلدان

الدواوين

سياسة خلفاء بني أمية مع ولاة الأمصار

عملت الدولة الأموية على اختيار عمالها وولاتها لتولى حكم الأمصال ، وأن يكونوا نواباً عنهم إلى هذه المناطق يطبقون سياستهم ويأتمرون بأمرهم ، وسيتكملون رسالة الراشدين في نشر الإسلام بين الأمم الوثنية الجديدة ، وبين أصحاب الديانات السماوية الأخرى.

ومن ثم كان اختيار هؤلاء خاضعاً لأسس ثابتة ولاختيارات دقيقة على النحو التالي:

١. أن يكون هؤلاء العمال من العرب الخلص ، فقد عرف عن الدولة الأموية أنها دولة عربية لحماً ودماً ، حتى أن بعضهم أن لم يجد العربي الخالص العروبة من الغرباء ، يؤثر أن يسند الإمارة إلى بعض أفراد الأسرة الأموية حتى لايكون الوالي إلا عربياً صميماً.

٢. زيادة نفوذ الوالي واختصاصاته في العصر الأموي ، مثل السلطات الاستثنائية التي منحت للحجاج بن يوسف الثقفي وغيره من ولاء المشرق.

٣. ضرورة التحقق من الكفاية الإدارية ، والقدرات الخاصة ، في الوالي المرشح لمنصب الولاية ، لأن معظمهم تقع على أكتافة تبعة الفتوحات الإسلامية .

٤. كان يطلق على الولاة في العصر الأموي لقب عامل كما كان متبعاً في عصر الراشدين ، ولكن تطور الأمر بعد ذلك وأصبح يسمى أمير ، وهو اللقب الذي كان يطلع على أبناء البيت الأموي ، وأصبح لقب عامل يختص به رئيس الناحية الإدارية.

٥. إذا ثبت للخلفاء إخلاص وولاء أمراء الأقاليم كانوا يثبتونهم لسنوات عديدة.

٦. ضرورة إقامة الوالي في حاضرة ولايته ، ولو أن هذا الشرط لم يتحقق في كل فترات الحكم الأموي ، حيث بقى بعضهم في دمشق ، وأرسلوا مندوبين عنهم إلى الولاية مثل عامل الخراج ، وصاحب بيت المال والقاضي ، وصاحب الشرطة. الذين يأتمرون بأمر الوالي ويرسلون إليه تقارير عن أحوال الولاية .

٧. عمل الخلفاء على منح عمالهم ألأقاليم كاملة ، إذا تأكدوا من قدرتهم على المشرق ، فقد منح معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبيه حكم إقليم المشرق كله ، وكذلك فعل عبدالملك بن مروان وابنه الوليد مع الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان هؤلاء بدورهم يولون نوابا عنهم على المناطق التابعة لإقليمهم .

٨. تأرجحت سياسة الأمويين الإدارية مابين المركزية واللامركزية ، فقد سهدت فترات حكم الخلفاء العمل على أن ترسم سياسة الأمصار من حاضرة الخلافة ، وأن يهيمن الخلفاء على عمال الولايات ويحاسبونهم حساباً شديداً ، مع السماح لهم بحل مشاكلهم داخلياً دون الرجوع إلى الخلافة ، والاكتفاء ذاتياً بمواردهم ، ومما يؤكد ذلك أن عمر بن العزيز كتب إلى عامله باليمن ، وقد استشاره الأخير في أمر ما "أني اكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني ، حتى أني لو كتبت لك أن أردد على مسلم مظلمة شاه لكتبت إلى : ـردها عفراء أم سوداء؟ فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني" .

٩. محاسبة الخلفاء لولاتهم في حالات التقصير أو العجز عن السيطرة على شئون الإقليم خوفا من الفتن التي كانت تتأجج في هذه الفترة.

١٠. شهد العصر الأموي انقلاب الخلفاء على ولاء الأمصار ، مثلما حدث بعد وفاة الوليد بن عبد الملك فقد عزل سليمان الولاء الذين نبغوا في عهد أخيه وهم محمد بن القاسم بطل فتوحات الهند والوالي عليها حيث نكل به لأسباب اتخذها سليمان عليه ، كما عزل قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح ما وراء النهر لشك سليمان في ولائه ، وعزل موسى بن نصير بطل فتح الأندلس لنفس السبب، وهكذا نرى أن الولاء الذين يرزوا في العصر الأموي وكانوا قادة للفتح غدر بهم ، مما أثر على كيان الدولة الأموية ذاتها.

الدواوين في العصر الأموي:

تطورات الدواوين في العصر الأموي ، عما كانت عليه في عصر الراشدين ، واتسعت مرافق الدولة واحتاجت إلى دواوين جديدة تنظم إدارتها وتتلاءم مع تطورها ، لكن هذه الدواوين مع ذلك ظلت تمر بدور انتقالي ولم تستقر وتأخذ وضعها النهائي إلا في العصر العباسي.

١-ديوان الخراج:

هو الذي يتولى تنظيم أمور الخراج والنظر في مشكلاتها وهو كديوان الخراج الذي عرف منذ عهد عمر بن الخطاب ، إلا أن بعض المشكلات الجديدة التي طرأت في العصر الأموي تطلبت ضرورة علاجها بروح جديدة تتلاءم مع العصر ، وقد ظل هذا الديوان يسجل بياناته بلغة أهل البلاد حتى عصر عبدالملك بن مروان الذي عرب الدواوين إلى اللغة العربية ، فكان نصيب ديوان الخراج أن عرب في كل الأمصار ، وسار الوليد بن عبدالملك على سياسته في تعريب ديوان الخراج بمصر إلى العربية ، وقام بذلك والية على البلاد عبدالله بن عبدالملك ، كما أمر واليه على الأردن عبدالملك بن سليمان بن سعيد أن ينقل ديوان الشام إلى العربية ، كما قام الحجاج بن يوسف والى العراق بتكليف من الخليفة باستدعاء كاتبه صالح بن عبدالرحمن بنقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية.

٢-ديوان الرسائل:

هو الدائرة الرسمية التي كانت تشرف على مراسلات الخليفة في أول الأمر مع الولايات والأمصار ، وفي بعض الأحيان مع الدول الأخرى التي تفاوض في بعض الشؤون ذات الصبغة السياسية تارة والاقتصادية تارة . وكان كاتب الرسائل من أبرز الكتاب في العصر الأموي لأنه كان. مؤتمناً على أمور الدولة واسرارها ، وكان الأمويون يعينوه غالباً من خاصتهم وذوى قرباهم متأثرين بالعصبية العربية ، فكان الكاتب ممن يتمتع بقوة الشخصية والذكاء ، لأنه هو الذي يحرر الرسائل الرسمية والسياسية، وهو الذي ينشر بين الناس المراسيم والقرارات والبلاغات والترتيبات الإدارية

٣-ديوان المستغلات أو الإيرادات المتنوعة:

لم يكن يقصد من المستغلات إلا تلك الموارد المختلفة التي تؤول إلى الدولة من أملاك غير منقولة كالأراضي والأبنية الخاصة بالدولة.

٤-ديوان النفقات:

كانت مهمته الكبرى تتمثل في صرف ما ينفق على تسليح الجيش ، ورواتبه والبسته ، والإدارة المركزية التي توزع مرافق الدولة على الدوائر المختلفة

٥-ديوان الصدقات:

واسمه مأخوذ من آية الصدقات ، أي أنه يقصد به توزيع موارد الزكاة على أصحاب الحقوق فيها على النحو الذي حدده الله سبحانه وتعالى.

٦-ديوان الجند:

ومهامه تتماثل مع ما سبق أن حددناه في ديوان الجند في عصر الخلفاء الراشدين أي أنه يشمل إحصاء للجنود ، ومقدار الأرزاق والأعطيات التي تحدد لكل واحد منهم حسب درجته وكانته.

٧-ديوان الخاتم:

أنشاء معاوية بن أبي سفيان هذا الديوان ، وكان فيه نواب مهمتهم نسخ أوامر الخليفة وإيداعها هذا الديوان ، بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع وتختم بختم صاحب الديوان ، كما هو الحال في العصور الحديثة ، ويرجع السبب في إنشاء هذا الديوان إلى أن معاوية بن أبي سفيان احال رجلاً على زياد بن أبيه عامله على العراق بمائة الف درهم فمضى ذلك الرجل وقرا الكتاب – وكانت توقيعاتهم غير مختومة – وجعل المائة مائتين . فلما رفع زياد حسابه إلى معاوية تنبه إلى هذه المغالطة وقال ما أحلته إلا بمائة ألف" ثم استعاد المائة ألف من الرجل ووضع ديوان الخاتم ، فصارت التوقيعات تصدر مختومة لا يعلم أحد ما تشتمل عليه ولا هو يستطيع أن يغيرها في شئ.

٨-ديوان البريد:

البريد جمع برد ، وهي لفظة تطلق على رسول البريد، وهي أيضاً مسافة قدرها اثناء عشرة ميلاً ، وغلب استعمال البريد للدلالة على عملية نقل الأخبار ، وأول من اتخذ نظام البريد معاوية بن أبي سفيان وجعله تابعاً لنظام التراسل ، ومهمة البريد هي نقل الأخبار إلى الوالي واخطاره بما يجد في دولته ، لاسيما في أطرافها البعيدة ، وكان بعض الولاة يستخدمونه في نقل المواد ، غير أن الوليد بن عبدالملك كان يحمل عليه الفسيفساء من القسطنطينية إلى مكة

كما ينسب إلى عبد الملك أيضا هو الذي دعم نظام البريد وأحكمه . وكان من عمل البريد في بعض الأحيان التجسس لحساب الولاء ونقل ما يدور بين الناس.

٩-ديوان الطراز:

وهو الديوان الذي يتم فيه إعداد الملابس الرسمية ، وكان القائم على العمل ورئاسة هذا الديوان يطلق عليه صاحب الطراز ومهمته كما أوضحها ابن خلدون ينظر في أمور الصباغ والآلة والحاكة منها وإجراء أرزاقهم ، وتسهيل آلاتهم، ومشارفة أعمالهم ، فكانوا يقلدون ذلك لخواص دولتهم وثقاة مواليهم. وكان هذا الديوان ينتج الأزياء الرسمية للخلفاء والوزراء والجنود برتبهم المختلفة والأعلام في الحرب والشارات والشعارات في جميع الأحوال ، وكانت تعد على حد قول ابن خلدون من الحرير أو الديباج تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب ألحاماً وإسداء بخيط الذهب.

النظام الإداري في العصر العباسي:

يعتبر العصر العباسي هو عصر النضوج والاكتمال في جميع النظم الإسلامية، وهو عصر الازدهار الحضاري في شتى المجالات ، وكان نصيب الإدارة كبير في هذا التقدم . ولذا فإننا سنتتبع فروع الإدارة المختلفة علنا نؤكد حقيقة ما قدمناه.

سياسة خلفاء العصر العباسي الأول الإدارية ١٣٢-٢٣٢هـ:

يحتفظ تاريخ الإدارة العربية كما أوضحنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين ، ولمعاوية بن أبي سفيان ، ثم عبدالملك بن مروان ، خاصة من الخلفاء الأمويين بمكانتهم الخاصة ، إلا أن معالم النظام الحضاري برزت وتوطدت في العصر العباسي الأولى. فقد اتجه الحكم نحو مزيد من المركزية. وأهم ما يميز سياسة الخلفاء العباسيين الإدارية في هذا العصر ما يلي:

أولاً: عملت الخلافة العباسية في فترتها الاولى على اتخاذ المركزية في الحكم حتى عصر الخليفة هارون الرشيد ، فكانت الأوامر الإدارية تصدر عن العاصمة إلى الأقاليم عن طريق ديوان الخاتم ، وكانت السلطات لذلك موزعة في الولاية بين ثلاث قوى

أ- الوالي وله إمرة الجيش وكثيراً ما يكون من قواده وله مع القيادة الصلاة أي إمامة الناس ، كما يتبعه صاحب الشرطة وصاحب المعونة ، وإليه أمر تعيينهما وله أحيانا حق ضرب النقود.

ب-العامل " عامل الخراج " وهو الذي يتولى الشؤون المالية في الإقليم ، له تنظيمها وتقبيلها وجبايتها وإرسال حصة الخلافة منها بعد استيفاء حاجة الإقليم .

ج- القاضي ، ويأتي تعيينه بدوره من بغداد فالسلطة في الولاية مثلثة يرأسها الوالي ، ولكن تنفصل فيها السلطة العسكرية عن المالية ، وتتفصل الاثنتان بدورهما عن السلطة القضائية ، على أن هذا لم يمنع الخليفة أحياناً من الجمع لبعض ولاته بين منصبي الوالي وعامل الخراج.

ثانياً : اختار خلفاء بني العباس ولاتهم على الأقاليم على أساس الولاء الكامل لهم دون النظر إلى الجنس ، على أن يكونوا من طبقات المجتمع العليا كما اختاروا مجموعة من أبناء البيت العباسي ، إلى جانب الموالي الموالين لهم .

ثالثاً : كثيراً ما ثبت العباسيون الحكام التقليديين المحليين لكثير من المناطق ومنحوهم الحكم الذاتي في حكم أقاليمهم على النهج الذي اعتادوا عليه، على أن يقبلوا عامل الخراج الذي يجمع الضريبة السنوية المتفق عليها.

رابعاً : عهد خلفاء بني العباس في العصر الأول للوالي الواحد بأكثر من ولاية ، وأذا كان هذا رغبة منهم في ضبط الأمور وأحكام السيطرة والهيمنة في هذه الفترة ، إلا أنه فتح الباب فيما بعد لتسلط الولاة ولتوسيع نفوذهم على حساب الإدارة المركزية ، وأدى ذلاك لظهور الوالي المطلق اليد والسلطة.

خامساً: ظهرت في العصر العباسي فكرة الإنابة في الولاية ، أي أن الوالي يبقى في بغداد ، بعد حصوله على التقليد بالولاية ، ويرسل نائبا عنه إليها ، ورضى الخلفاء أن يمنحوا الولايات لمن يختارون من رجالهم يديرونها بإسمهم ولحسابهم . مما أدى إلى ضعف الاتجاه المركزي الذي حاول المنصور تثبيته في البلاد .

سادسا: تهيأت الظروف في الولايات – نتيجة لضعف الإدارة المركزية إلى بداية ظهور الحركات الانفصالية عن الدولة

سابعاً : ضعف الإدارة المركزية في نهاية العصر العباسي الأول ، وإهمال الأقاليم إدارياً مع تزايد السلطة المطلقة للولاء وضعف أجهزة الرقابة والمحاسبة .

ثامناً : بدأت تظهر ظاهرة الولاء الذين تعسفوا مع أهل البلاد في جمع الأموال والخراج وسفك الدماء وعدم مراعاة حدود الله.

. تاسعاً : زيادة ثروات الولاة بصورة كبيرة اضطرت بعض الخلفاء أمثال هارون الرشيد إلى مصادرة أموالهم.

عاشراً : ظهور بداية حركات الاستقلال عن الخلافة وخروج كامل عنها بقيام الإمارة الأموية في الأندلس ، ودولة الأدارسة في بلاد المغرب ، والرستمية التابعة للخوارج في المغرب الأوسط .

حادي عشر : كثر في هذه المرحلة منح السلطات للولاة وقيام إمارات الاستكفاء مثل دولة الأغالبة في تونس والطاهريين في خراسان

أنواع الولايات والإمارة على البلدان

حدد الماوردي في الأحكام السلطانية أنواع الإمارة ، وقسمها إلى قسمين:

أ-أمارة عامة. ب- إمارة خاصة.

حيث بدأ يفصل لنا أنواع الإمارة العامة والتي قسمها هي الأخرى إلى نوعين :

إمارة استكفاء بعقد عن اختيار.

إمارة استيلاء بعقد عن اضطرار.

أولاً : إمارة الاستكفاء:

بالنسبة لإمارة الاستكفاء " تشمل على عمل محدود ، ونظر معهود ، والتقليد فيها أن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد ، أو إقليم ، أو ولاية ، على جميع أهله ونظراً في المعهود من سائر أعماله فيصير عام النظر فيما كان محدوداً من عمل ، ومعهودا من نظر فيشتمل نظره على سبعة أمور.

النظر في تدبير الجيش وترتيبهم في النواحي ، وتقدير أرزاقهم.

النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.

جباية الخراج ، وقبض الصدقات ، وتقليد العمل فيهما وتفريق ما استحق فيها.

حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل.

إقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين .

الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها.

تسيير الحجيج

إذا كان الإقليم المعين عليه الأمير ثغراً على حدود الأعداء ، فقد كان عليه أن يرابط به للدفاع عن الثغر.

ثانياً : إمارة الاستيلاء:

تعقد عن اضطرار ، فهي أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ، ويفوض إلية تدبيرها وسياستها ، فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير ، وبإذن الخليفة منفذ لأحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الحظر إلى الإباحة".

وفي إمارة الاستيلاء ، التي تعني أن أحد الأمراء يتمكن من التغلب على منطقة من المناطق ولسيتولى عليها ، ويضطر الخليفة إلى أن يعقد له ويمنحه عقد الولاية عليها.

الإمارة الخاصة :

يوضحها الماوردي بأنها " يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة والذب عن الحريم وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات" ومعنى الإمارة الخاصة أن يقوم الخليفة بتقليد أحد رجاله حكم منطقة من المناطق يحدد له اختصاصاته ولا يمنحه كافة الصلاحيات

الدواوين المستحدثة في العصر العباسي

١ـ ديوان المصادرات :

أنشأه الخليفة المنصور لحفظ أسماء من صودرت أمواله ولعل هذا يشير إلى كثرة من صودرت أموالهم في عصره إذ لولا ذلك لما فكر في إنشاء ديوان لهذا الغرض وهذا يؤكد سياسة المركزية ومحاسبته الدقيقة لولاته ومراجعة ثرواتهم وممتلكاتهم يكتب منها نسختان أحدهما بالديوان وترسل الأخرى للوزير ٠

٢ـ ديوان الأزمة :

استحدث في عصر المهدي وكان عبارة عن مجموعة من

الدواوين أو الدوائر الصغيرة تشرف على أعمال الدواوين الكبيرة كأنها دواوين محاسبة أو مراقبة إذ كانت تعني بالدرجة الأولى بالتدقيق في الحسابات والشؤون المالية التي يتصرف بها كل ديوان من الدواوين الصغيرة على حده ٠

كما انشئ في عهد المهدي أيضا زمام الأزمة لينظم في آن واحد جميع دواوين الأزمة ويلاحظ هنا التعبير عن الديوان بالزمام لأنه كان قواما لكل أمر عالجه ديوان ما على حده في كل مرفق من مرافق الحياة المدنية ٠

٣ـ ديوان النظر : وكان للنظر في المظالم والشكاوي وعرض شكاوي الرعية مما يتعرضون له من ظلم من أي جهة ديوانية أخرى أو من الولاة وقد أنشئ في عهد الخليفة المهدي وقد تحدثنا عن اختصاصاته عند الحديث عن النظر في المظالم

٤ـ ديوان الغلمان والمولي :

أنشأه الخليفة المعتصم العباسي والذي اتجه نحو استجلاب أعداد كبيرة من الغلمان الأتراك فلم يكن الغرض من هذا الديوان سوى النظر في كثرة استجلابهم والاستكثار منهم وفي انتقاء من يتبعه منهم بشروط كان يستجيدها على طريقته

الخاصة كما يسجل فيه أسماء موالي الخليفة ورقيقة ٠

٥ـ ديوان الاستخراج : ظهر في العصر العباسي الثاني وهو عبارة عن دائرة رسمية تسعى إلى تتبع أخبار الوزراء والكتاب والحجاب والعمال والعمال والولاة المهتمين بالمحسوبية والرشوة كي تحصي أسماؤهم وتحدد أوضاعهم ثم تصادر بأمر من الخليفة أموالهم التي جمعوها من مصادر غير شرعية ٠

٦ـ ديوان الخاصة : ظهر في العصر العباسي الثاني وكان ينظر في أموال الخليفة وأملاكه وعقاراته المكتوبة باسمه الراجعة إليه وإلى ورثته ٠

٨ـ ديوان التوقيع : وإليه تقدم رقاع أصحاب الحاجات وبعد أن يستطلع صاحب هذا الديوان رأي الخليفة فيها يرسلها إلى صاحب ديوان الدار ومن هذا الديوان ترسل إلى صاحب الديوان المختص بالمسائل التي ترد في الرقاع وقد بلغت هذه التوقيعات أقصى ما يمكن أن تبلغه من الاختصار والبلاغة وإظهار ذكاء موقعها على حسن الفصل في الأمور وكان البلغاء يتنافسون في الحصول على توقيعات جعفر بن يحيى البرمكي الذي كان يلي ديوان التوقيع للرشيد ليقفوا منها على أسلوب البلاغة وفنونها ٠

==========

المحضرة الثانية عشر

النظام المالي+ النظام العسكري

عناصر المحاضرة

تمهيد

اولا: النظام المالي

١. **الموارد المالية**

٢. **مصارف بيت المال**

ثانيا: النظم العسكرية والامنية

١. **الجيش**

٢. **الشرطة**

تمهيد

المال هو عصب الحياة ووسيلة العمران علية تتوقف حياة الفرد وسعادة الجماعة وبناء المجتمعات ولقد صور القرآن المال مع البنون زينة الحياة الدنيا. غير ان الاسلام جعل المال وسيلة لتبادل المنافع بين الناس وجعل مالكه بين اختيار دقيق فالمال في الحياة زينة لكن في المقابل والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا.

ان النظام المالي في الاسلام واضح المعالم مستقل كل الاستقلال عن جميع النظم المالية واكثر مبادئه هي قواعد كلية كبرى اقرها النص وجرى بها العمل تاريخيا.

الموارد المالية

اولا: الخراج

مقدار معين من المال او الغلة يفرض على الارض التي آلت ملكيتها للدولة الاسلامية او هي باختصار ضريبة الارض. ويؤخذ الخراج من نوعين من الارض. (١) الارض التي فتحت عنوة ووقفها الامام على مصالح المسلمين بعد تعويض المحاربين عن نصيبهم فيها: او استرضاهم. (٢) الارض التي ملكها المسلمين دون قتال وصالحوا اهلها على خراج يؤدونه عنها. وكان الخراج اما شيئا مقدرا من حاصلات زراعية او غلال او اموال نقدية او حصة معينة مما يخرج الارض.

ـ وتم جباية الخراج بعدة طرق

١- على المساحة وهي قيمه مقدرة على مساحة محددة من الارض زرعت ام تزرع

٢- خراج المقاسمة وهي اخذ نسبة من الحاصل كالربع او النصف او ما شابه ذلك

٣- نظام الالتزام: ان يلتزم احد الاشخاص ان يدفع ضريبة ارض مقدما للدولة ويقوم هو بجباية الاموال لنفسه وهذا يتطلب ان يحاول الحصول على اكبر مقدار من المال ليتسنى له تحصيل مبالغ اكثر من التي دفعها مقدما للدولة

ـ ثانيا: الجزية

مبلغ من المال مفروض على اهل الذمة من اليهود والنصارى. وقد ثبتت الجزية بنص القران وتسقط الجزية بدخول الاسلام. لا تؤخذ الجزية من الفقراء ومن لا عمل لهم ولا من النساء والصبية ولا من العبد المملوك. وقد حدد عمر بن الخطاب مقادير الجزية حسب الطبقة الاجتماعية على النحو التالي (٤٨) درهما في السنة على الشخص من الطبقة العليا (٢٤) درهما في السنة على الشخص من الطبقة الوسطى (١٢) درهما في السنة على الشخص من الطبقة الدنيا.

ـ ثالثا: الزكاة

وتسمى الصدقة وهي اول ضريبة اسلامية فرضت على الاغنياء والقادرين، وكانت اول الامر اختيارية. وهي ليست ضريبة بل فريضة اسلامية وركن من اركان الاسلام شرّعت لتطهير النفس من البخل والاثره، والانتقال بالمال من مادة

يتصارع عليها الناس ويسعون جاهدين لجمعها الى سلوك خلقي يغرس في النفس حب الانفاق والعطف على الفقراء والمساكين. والاموال المزكاة هي

اولا: النقد من الذهب والفضة ويشترط لاخراج الزكاة شرطان

_ ١- ملك النصاب ٢-حلول الحول عليها. حيث بلغ نصاب النقد او الذهب عشرون مثقالا ونصاب الفضة مائتا درهم. فاذا تحققا الشرطين وجب على المسلم اخراج ربع العشر او ٢،٥%.

ثانيا: زكاة السوائم وهي الابل فنصابها خمسة وفيها شاه. والبقر ونصابها ثلاثون وفيها تبيع. ام الغنم ففي كل اربعين شاة الى مائة وعشرين.

ثالثا: عروض التجارة (انظر عشور التجارة) فيها ربع العشر

رابعا: الزروع والثمار: ونصابها خمسة اوسق او ما يعادل ٩٧٥ كغم

_ فانه يجب فيها العشر اذا كانت تسقى بما المطر ونصف العشر اذا كانت تسقى بالدلاء.

خامسا: المعدن والركاز: وهو ما عثر عليه في باطن الارض سواء كان معدنا خلقه الله او كان كنزا دفنه الكفار.

مصارف الزكاة

تصرف الزكاة على الاشخاص المذكورين في قوله تعالى {انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم}.

_ رابعا: العشور

وهي ضريبة مفروضه على عروض التجارة القادمة من خارج حدود الدولة الاسلامية والخارجة منها. ويرجع نظام العشور الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب. فقد كتب اليه ابو موسى الاشعري: "ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون ارض الحرب فياخذون منهم العشر، فكتب اليه عمر: خذ انت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من اهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل اربعين درهما درهما واحدا وليس فيما دون المئتين شي، فاذا كانت مئتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه".

_ خامسا: الغنيمة

هي كل مال حصل عليه المسلمين بالقتال. وتقسم خمسة اخماس اربع اخماس للمقاتلة الذين اشتركوا في القتال والخمس الباقي يقسم ايضا على عدة اسهم كما في قوله تعالى" {واعلما انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابت السبيل}

سادسا: الفيء: وهو المال الذي اصابه المسلمون دون قتال ويقسم الى خمسة اقسام اربعة منها للمقاتلة لشراء الاسلحة

_ والخمس الباقي يصرف حسبما جاء في قوله تعالى: {ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل} الحشر اية ٧

مصارف بيت المال

١. رواتب الموظفين كالقضاة والولاة والكتاب والعمال

٢. اعطيات الجند

٣. ري الأنهار واصلاح مجاريها وشق الترع والقنوات

٤. النفقة على المسجونين واسرى المشركين

٥. المعدات الحربية والسلاح

٦. العطايا والمنح للادباء والعلماء

٧. نفقات اخرى طارئة

النظم العسكرية والامنية

أولا: الجيش

لما جاء الاسلام نهى عن الحرب للثأر والنهب وجعل للقتال غاية وقضى على العصبية القبلية ووحد العرب فجعل منهم امة اسلامية واحدة ثم وججههم في سبيل نشر دينهم الجديد ففرض عليهم الجهاد للدفاع عن النفس وتامين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها، وبذلك جعل الاسلام الامة الاسلامية كلها امة مقاتلة. والمعروف تاريخيا ان المسلمين لم يؤذن لهم بالقتال الا بعد الهجرة النبوية حين نزلت الاية الحج ٤٠{اذن للذين يقاتلون _ وربما اعتبار الهجرة النبوية بداية حقيقية لنظام الحرب في الاسلام فقد اخذ المسلمون لملاقات قوافل قريش في طريقها من مكة واليها. وكانت هذه السرايا في بادىء الامر قليلة العدد، ولكنها ما لبثت ان زادت في عدد افرادها وفي قوة سلاحها. وقد اهتم الرسول بالمقاتل المسلم وشجعة على تطوير كفاءته القتالية وتدريبه على السلاح وفنون القتال فشجعهم على التدريب على الرمي وعلى ركوب الخيل، كما انه وضع الاسس الاستراتيجية للنظم العسكرية في عهده مثل كيفية تنظيم الصفوف واتخاذ مجلس شورى للحرب. غير ان الرسول لم يكن يكره المسلمين على الاشتراك في القتال.

الجيش في عصر الراشدين

حذا الراشدون حذوا النبي في تطبيق قواعد القتال في عهد النبي وحققوا انتصارات على جيوش فارس والروم. فقد ظلت الامة الاسلامية كلها مقاتلة على عهدهم، فكان كل مسلم قادر على حمل السلاح ينظم طواعية الى الحملات العسكرية ويسجل اسمه في الديوان وياخذ العطاء من الدولة. ومما لا شك في ان المقاتلة في صدر الاسلام كانت كلها من العرب فكانوا بحق هم مادة الاسلام وكان انظمامهم الى الديوان طوعا حتى اضطر عمر بن الخطاب المسلمين لحرب الفرس واحس في الايام الاولى بتباطؤ المسلمين كتب الى عماله على الاقاليم

_ **ولا تدعوا في ربيعة ولا مضر من اهل النجدة ولا فارسا الا جلبتموه. فإن جاء طائعا والا حشرتموه حشرا.** وبهذا اعان عمر التجنيد الالزامي او الاجباري.

وقد ظلت الدولة في عهد الراشدين تعتمد على مبدأ الامة المقاتلة ولم يكن لها جيش نظامي محترف بالمعنى المعروف لان المقاتلة لم يكونوا تحت السلاح على الدوام بل كانوا ينصرفون الى اعمالهم العادية اوقات السلم. وكانت اسلحة الجيش وخططه في عهد الراشدين كما كانت على العهد النبوي، الا ان عدد المقاتلة زاد وتختلف كتب التاريخ في

_ تقدير عدد الجنود الذين خرجوا لفتح الشام والعراق ومصر ويظهر ان عدد الجيش الذي اشترك في معركة اليرموك كان حوالي عشرين الفا، وفي القادسية عشرة الاف.

سار عثمان بن عفان على سياسة سلفه ولكن حدوث الفتنة الكبرى شغلته عن مواصلة حركة الفتح فخمدت جذوة الجهاد وتوقفت الفتوحات. وفي خلافة علي بن ابي طالب توسعت شقة الخلاف بين المسلمين فقاتل المسلمون في سبيل الدفاع عن الرأى وضعف وازع القتال في سبيل نشر الاسلام، فخفت الروح العسكرية خاصة عندما اقيمت الصراعات السياسية حول الخلافة فانشغل الخليفة عن مواصلة الفتوحات.

الجيش في العصر الاموي

ورث الامويون النظام العسكري الذي كان سائدا في صدر الاسلام واضافوا اليه ما استطاعوا استيعابه، وما تأثروا به من النظم العسكرية البيزنطية التي عاصروها وعرفوها في بلاد الشام. واهتم الأمويون بالعنصر العربي في الجيش الاسلامي وحافظوا على القواعد التي وضعها عمر بن الخطاب للجيش غير انهم زادوا في اعطياته.

كان العمل في الجيش الاموي حتى مطلع العهد الاموي تطوعا على وجه الاجمال فالعمل في الجيش كان واجبا دينيا ولكن باتساع نطاق الفتوح وموت كثير من الصحابة والتابعين

_ ودخول عدد كبير من غير العرب في الاسلام وانصراف الناس وتقاعسهم عن الجهاد وغير ذلك من العوامل قد جعل اتخاذ امر الاجبار والإلزام امرا واقعا في بعض الاحيان. يُذكر ان الحجاج بن يوسف فرض التجنيد الاجباري مما جعل بعض الكتاب ينسب ذلك الى الخليفة عبدالملك بن مروان.

كان الجيش الاموي يتكون من الجند النظامي والمرتزقة والمتطوعة الذين يهرعون للقتال من تلقاء انفسهم ويتحملون نفقة سلاحهم ولا ياخذون شيئا من بيت المال الا ما ينالونه من الغنائم وكان هدف هؤلاء هو شرف الجهاد في سبيل الله.

ازداد عدد الجيش في عهد بني امية فبعد ان كان عدد افراد الجيش الاسلامي في معركة احد الف مقاتل وفي سرية مؤتة ثلاثة آلاف. واربعين الفا في عهد الراشدين، فقد بلغ عدد الجيش الاموي في عهد مروان بن محمد مئة وعشرين الفا معظمهم من عرب الشام. ومن هذا يظهر التطور السريع الذي تم في تكوين الجيش الاسلامي والزيادة الكبيرة في العدد، ودخول مظاهر جديدة من جهة النفقة والتنظيم والسلاح، وظهور اسباب جديدة للحرب غير الدفاع عن الدين مثل قمع الفتن الداخلية والنزاع الدنيوي على السلطة.

_الجيش العباسي

استمد العباسيون قوتهم من الجيش الذي نما نموا عظيما بمن دخل فيه من الموالي، وكانت سياسة العباسيين تنحصر في حفظ التوازن بين عنصري الجيش العرب والفرس، ولكن هذا التوازن بدأ يختل نتيجة الصراع السياسي بين الطرفين خلال العصر العباسي الامر الذي دعا الخليفة المعتصم الاعتماد على عنصر ثالث في الجيش هو الترك فاستخدم الاتراك الذين سيطروا على الخلافة ردحا من الزمن.

شهد العصر العباسي منذ قيامة تكوين جيش نظامي، فالجند الهاشمية كانوا نواة لهذا الجيش النظامي لانهم كانوا ينتظمون

_ في الجيش كافراد لا كقبائل وكان ولاءهم للدولة التي تعني بتدريبهم وتموينهم المستمر واعطائهم رواتبهم الشهريه. وكانت عناصر الجيش العباسي تتكون من العرب واهل خراسان والاتراك والابناء. فقد اعتمدت الدولة في ايامها الاولى على العرب كما اعتمدت على اهل خراسان في جيشها ولم يكن اعتمادها كليا على الفرس كما قيل، فحتى القوة الضاربة الخراسانية التي حققت النصر العباسي كانت تتكون بصورة رئيسة من العرب الذين عاشوا في خراسان لفترة طويلة وتكلموا العربية والفارسية، ثم جاء الابناء كعنصر من _ عناصر الجيش العباسي وهم ابناء واحفاد اهل خراسان جند الدعوة العباسية الذين ناصروها ضد الامويين.

وهكذا كان للعباسين في عصر القوة والازدهار جيش نظامي موحد يتبع بصورة مباشرة لسلطة الخليفة، ولكن وعلى عهد المعتصم بدأت الدولة في تجنيد المرتزقة من الاتراك وغيرهم، وكان لذلك نتائج سيئة على الدولة حيث انفرط النظام وعمت الفوضى واصبح الجيش عدة جيوش.

اسلحة الجيش

تقسم اسلحة الجيوش الاسلامية الى ثلاثة انواع وهي

أ. اسلحة الوقاية ومنها

الدرع: هو السلاح الوقائي الذي استخدمه الجند لحماية انفسهم من ضربات السيوف ووخزات الرماح. وتصنع الدروع من الحديد والفولاذ والكتان.

الترس (المجن) آله وقائية يقي بها المقاتل نفسه من ضربات السهام والرماح، ويصنع من الخشب المغطى بالجلد. وله اشكال كثيرة منها المحدب والمنحني الاطراف.

_ **الحسك الشائك:** وكان يصنع في بداية الامر من حسك السعدان وهو شوك صلب ذو ثلاثة شعب تنثر منه شعبتان في الارض وتبقى الثالثة بارزة لتعطب بها حوافر الخيل واقدام العدو ويبدو انهم صنعوه لاحقا من اصابع حديدية.

ب. اسلحة الهجوم

السيف

الرمح

القوس والنشاب

السكين

_ ومن اسلحة الهجوم الثقيلة النفط وقاذفات النار

ج. اسلحة الحصار

المنجنيق: آلة حربية ثقيلة تستخدم لقذف الحجارة والسهام وقوارير النفط واي مقذوفات اخرى باتجاه العدو، وهي عبارة عن قاعدة من الخشب السميك مربعة او مستطيلة يرتفع من وسطها عمود خشبي قوي ثم يركّب في اعلاه ذراع المنجنيق القابل للحركة.

العرادة: آلة صغيرة يمكن حملها على مركب او قارب وكانت تستخدم عندما يصعب وضع الآلة الكبيرة بالقرب من الجدار بسبب امتلاء الخندق بالماء.

_ والعرادة اصغر من المنجنيق وكانت تستخدم لرمي السهام الكبار دفعة واحدة الى المسافات البعيدة التي لا تصل اليها رميات الاقواس فكانت توضع فيها عدة سهام كبار ثم يرمى بها مرة واحدة فتبعد وتصيب.

الدبابة: آلة هجومية اقدم من المنجنيق استعملها المسلمون في فترة مبكرة عند حصار الطائف سنة ٨هـ وقد استعين بها في نقب الاسوار وهي عبارة عن قاعدة كبيرة من الخشب ترتكز على عجلات بشكل يمكن دحرجتها على الارض من مكان الى آخر.

_ الكبش: وهو أحد آلات الحصار ويعمل مع الدبابة على هدم الاسوار وفتح ابواب الحصون ويحمل على عجل من الخشب المحكم المغلف بجلود منقوعة في الخل وبداخلها الجنود الذين يحركونها ويدفعونها حتى تصطدم بالاسوار وقد ركب في مقدمتها راس من الحديد او الفولاذ يشبه الكبش تماما.

الشرطة

الشرطة كلمة عربية صرفة استخدمها العرب قبل ظهور الإسلام والشرطة أصلا نسبة إلى الشرط أي العلامات التي تُميّز زي رجال الشرطة أو تميز مواقعهم في صورة أعلام ورايات كانوا ينصبونها فوق مجالسهم ومراكزهم لكي يعرفها ويعرفهم بها الناس ٠

ويرجع بداية الشرطة في الإسلام إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو أول من أدخل نظام "العسس" أو حرّاس الليل وذلك لان الدولة أصبحت في حاجة ماسة إلى حراسة ليلية مستمرة فخصص أمير المؤمنين لهذه المهمة بعض

_ الرجال الذين يتناوبون الحراسة فيما بينهم في نوبات ودوريات متبادلة منتظمة فعرفت ومنذ ذلك الوقت أهم وظائف

الشرطة وتعنى بتوفير الأمن والأمان للناس وحراسة الأملاك والأرواح وظل طوال عصر عمر يطلق عليهم العسس ولم يكن يطلق عليهم اسم الشرطة بعد ٠

وأول ما أطلق اسم الشرطة على هذه المهنة كان في عهد علي بن أبي طالب وأطلق على رجال الشرطة في عهده ايضا اسم "رؤساء الشرطة " وأصحاب الشرطة ٠

_ الشرطة في العصر الأموي :

عرفت الشرطة لأول مرة نظام المراقبة ونظام السجل والمقصود بنظام المراقبة ما نعنيه اليوم بالوضع تحت مراقبة الشرطة كوسيلة وقائية وعقوبة خاصة للمشتبه فيهم وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وضع في دمشق العاصمة سجل خاص بالمشتبه فيهم من ذوي الميول والنشاط الإجرامي لمراقبتهم ومكافحة الجريمة قبل وقوعها وممن أسندت لهم هذه المهمة "الجعد بن قيس " ٠

تطورت الشرطة في العصر الأموي حتى أنها استخدمت ما عرف بالسجل يحملها المواطن في أسفاره وتنقلاته موضحاً بها أسمه وموطنه الأصلي وكان من حق رجال الشرطة القبض على من ينتقلون من بلد لآخر ويسافرون بالسفن ولا يحملون معهم بطاقاتهم الشخصية التي تحدد هويتهم بل عرفوا أيامهم نظام "استبدال فاقد " لمن يفقد سجله أو يتلف منه ووضعوا لذلك رسماً قيمته خمسة دنانير

كان لكثرة الأحداث في عصر الأمويين أن أدخل هشام بن عبد الملك نظام الأحداث وكان يضطلع صاحبه بالأعمال العسكرية _ التي تعتبر وسطاً بين أعمال صاحب الشرطة والقائد كما غلب في هذا العصر على جهاز الشرطة الطابع العسكري لحماية الخلافة والقدرة على القمع وإخماد الفتن ومطاردة الثائرين ويؤكد المؤرخون أنه كان في مدينة الكوفة وحدها من مدن العراق أربعون ألف رجل من رجال الشرطة وقد صار لكل مدينة من المدن الإسلامية شرطة خاصة تخضع لرئيس هو صاحب شرطة هذه المدينة وكان صاحب الشرطة يتخذ له نائبا ومساعدين يسمون الأعوان وكان الشرطة يتخذون أعلاماً خاصة ويلبسون زياً خاصاً ويحملون مطارد وترسة تحمل كتابات باسم صاحب الشرطة ويحملون في الليل الفوانيس ويصطحبون كلاب الحراسة ٠

_ الشرطة في العصر العباسي :

اتضحت مهمة صاحب الشرطة في العصر العباسي من عهد كتبه الصابي عن الخليفة الطائع إلى فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه في جمادى الأول سنة ٢٦٦هـ أمره فيه أن ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ويختار لها من الولاة " خيراً عليه ألا يحابي" وأن يردع الأشرار والدعار وأن يضرب على أيديهم وأن يعاقبهم في الكبائر والصغائر وأن يقيم الحدود عليهم". ويظهر من هذا العهد أن تعيين صاحب الشرطة كان من اختصاص الوالي أو الأمير ومن ثم كان عزل الوالي يتبعه في معظم الأحيان عزل صاحب الشرطة

==========

المحضرة الثالثة عشر

النظام الاجتماعي الاسلامي

عناصر المحاضرة

١. **تمهيد**
٢. المرأة في الإسلام (في القرآن والسنة)
٣. المرأة في التاريخ الاسلامي

تمهيد

إن دراسة النظم الاجتماعية في العالم الإسلامي ما هي إلا محاولة للوصول إلى ما قدمه الإسلام من تشريعات وأحكام تحكم حياة الناس وتوضح علاقاتهم مع بعضهم البعض وسلوكياتهم في هذا المجتمع الإنساني

وكان الإنسان أجل مخلوقات الله على الأرض وسوّاه الله ونفخ فيه من روحة ثم حدد له شرائع حياته وعقيدته وحدد طريق الخير وكرة له طريق الشر والبغي ثم بين له علاقاته بالآخرين وشروطها وواجباتها وبين لة ما أحل له من الطعام وما حرم عليه من الخبائث وحبب إلي التحدث بنعمه وأن يظهر أثرها علية وأن يأخذ بالطيبات من الرزق ثم حدد لة مشروعية الزواج والإنجاب ومعاملة المرأة وحقوقها وواجباتها وعلاقة الوالدين والأبناء ببعضهم البعض حتى العلاقة مع الخدم والرقيق ووجه إلى كيفية تحريرهم .

وكان عهد النبوة تطبيقا عمليا ودقيقا لأسس الإسلام والشريعة الإسلامية في كل ما يمس حياة الإنسان الاجتماعية حيث اصطدم الإسلام بالعادات العربية القديمة فأجاز بعضها ورفض الأخرى وعدل بعضها وهكذا. كما ان عهد الخلفاء الراشدين كان استكمالا لعصر النبوة لذلك فإن جميع النظم الإسلامية الشرعية كانت هي الأساس الذي اتبعوه ولكن عندما انفتح الإسلام على امم أخرى واختلط بحضارات مختلفة تركت أثرها على المجتمعات فكانت هناك محاولة صعبة وهي كيفية تطبيق المثل الإسلامية كما جاءت في الشريعة مع هذه الأوضاع الاجتماعية المتأصلة في المجتمعات الجديدة لذلك فإن مظاهر الحياة الاجتماعية التي شهدتها العصور الإسلامية المختلفة كانت متباينة ومختلفة من مرحلة إلى اخرى ومن منطقة إلى غيرها فلم تكن عادات المشارقه متفقة مع المغاربة إلا في بعض الأسس الحضارية الأساسية

التي تعلموها من الإسلام واصطبغت هذه المناطق وتأثرت بالموروث الحضاري القديم وبالعادات التي تأصلت في هذه الشعوب كما لا ننسى ان المذاهب الدينية الإسلامية تركت أثرها على المناطق التي سادت فيها في تشكيل كثير من العادات الاجتماعية والممارسات العقدية وما صاحبها من مراسم، سواء كانت من أصول النظم الإسلامية أم حادت عنها وهناك مشكلة تواجه الباحثين دائما عند الخوض في دراسة الحياة الاجتماعية وهي ندرة المعلومات التي تتعرض لتاريخ الشعوب لأن المؤرخين كانوا دائما يلهثون وراء أخبار الملوك والسلاطين والخلفاء السياسية دون الاهتمام بحياة الشعوب

لذا فإننا سنحاول أن نلتقط الأخبار من بطون المصادر علنا نتمكن من رسم صورة للمثالية الإسلامية في شكل النظم التي فرضها كتاب الله وسنة رسوله وبين الواقع الاجتماعي الفعلي الذي عاشته المجتمعات الإسلامية والذي فرضته ظروف البلدان المختلفة لنخرج في النهاية بالصورة الفعلية التي كانت قائمة وتمثل الحياة الاجتماعية والمجتمعات الإسلامية.

المرأة في الإسلام

نالت الأسرة في الإسلام مكانتها في التشريع وفي أحاديث الرسول صلى الله علي وسلم لان الأسرة هي نواة المجتمع فإن صلحت صلح المجتمع بأسرة. والأسرة ما هي ألا الأم والأب والأولاد ، مالهم وما عليهم وعلاقتهم ببعضهم في ظل شريعة الله سبحانه وتعالى ولعل اهم عضو في الأسرة هو الام او المرأة سواء كانت أم او زوجة أو ابنه فقد كان لها نصيب كبير في نظم الإسلام وسنولي قضيتها الصدارة لأنها قضية ما زال نساء الغرب حتى يومنا هذا يجرون ويلهثون لمنحهم الحقوق وكل ما يطلبوه قد حددته الشريعة الإسلامية ومنحته للمرأة وما حجبته عنها فهو لصالحها ولصالح بنات جنسها حيث أثبتت التجارب العملية صدق ما جاء بة الإسلام.

شمل الإسلام المرأة في جميع تشريعاتها الخاصة بنظام الأسرة برعاية كبيرة وعطف كبير وسمى بها إلى مستوى رفيع لم تصل إليه أية شريعة أخرى من الشرائع القديمة والحديثة. فقد كانت تعامل المرأة قبل الإسلام معاملة مهينة على أنها سقط متاع فهي لا تشارك في الرأي ولا في الحرب يقول ابن عباس رضي الله عنة: "كانت الحوامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأسها فإذا كان المولود انثى قذفت بها في الحفرة واذا كانت ذكر استبقته بحنان وعزة".
وكان يوجد طريقة أخرى للوأد. وهي أن الرجل يترك البنت حتى السادسة من عمرها فإن اراد التخلص منها قال لأمها طيبيها وزينيها ثم يذهب إلى بئر حفرها في الصحراء ويقول لها انظري هذا البئر ويهيل عليها التراب. يقول الله تعالى: {ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون} النحل ٥٧-٥٩

وفي الغرب كانت المرأة في ظل الحكم الروماني تعامل معاملة الرقيق وتمتهن كرامتها وعفتها وليس هناك أي تشريع عندهم يرفع من شأنها.

أما في الإسلام فقد جعل المرأة شريكة للرجل حينما تحدث عن الأصل الذي تفرع منة الإنسان فكان الرجل أبا والمرأة أمّا فلا تفاضل بينهما في جانب الإنسانية. يقول الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم}.

كما عنى ببيان وحدة الزوجين وتساويهما من الناحية النفسية ليقظى على جميع النظريات الخاطئة التي كانت تزعم ان المرأة جنس منحط بذاته عن جنس الرجال ويؤكد الإسلام وحدة الزوجين وتساويهما من ناحية علاقتهما بربهما وجزائهما عنده {فاستجاب لهم ربهم ان لا أضيع عمل عاملا منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض}. وليقف المتأمل عند هذا التعبير الإلهي (بعضكم من بعض) ليعرف كيف سَمَى الإسلام بالمرأة حتى جعلها بعضا من الرجل وكيف حدّ من طغيان الرجل فجعله بعضا من المرأة وليس في الإمكان ما يؤدي به معنى المساواة ولا أوضح ولا أكمل من هذه الكلمة

التي تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة والتي تتجلى في حياتها المشتركة دون تفاضل وسلطان يقول تعالى {للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن}. وإذا كانت المرأة مسؤولة مسؤولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها فهي في نظر الإسلام أيضا مسؤولة مسؤولية عامة فيما اختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والإرشاد إلى الفضائل والتحذير من الرذائل ، أضف إلى ذلك أن الإسلام احترم رأي المرأة شان الرجال تماما سواء بسواء.

وإذا كان الإسلام جاء باختيار أراء بعض الرجال فقد جاء أيضا باختيار رأي بعض النساء حدث عندما تحاورت خوله بنت ثعلب مع رسول الله صلى الله علية وسلم بشأن زوجها الذي ظاهرها فسمع الله تحاورهما وأنزل سبحانه وتعالى الآية الكريمة {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير}. فنرى

كيف رفع الله شأن المرأة ، وكيف احترم رأيها وجعلها مجادلة ومحاورة لرسول الله صلى الله علية وسلم وجمعها وإياه في خطاب واحد.

وإلى جانب ذلك فإن الإسلام لم يسلب المرأة حق التعليم

فقد أمرها أن تتعلم كلما امكنها من القيام بهذه المسؤولية على الوجه الذي حددت فيه وطلب منها تحري الخير والصلاح والبعد عن الشر والفساد ومن هنا أوجب الإسلام عليها كما أوجب على الرجل معرفة العقائد والعبادات ومعرفة الحلال والحرام ولا نعرف بينها وبين الرجل فارقا دينيا في التكليف وأهليته. وفي ميدان الجهاد فقد سمح للمرأة بالاشتراك فيه بدون تكليف فقد وضع الإسلام ذلك وقرر من أول يوم دخل فية ميدان الحرب والجهاد غير أن اختلاف النظم وتبدل الأحوال والشؤون يجد في هذه الأيام حفظا لكرامة المرأة إذا أرادت ان تساهم في هذا الواجب ان يتخذ لهذا الوضع الذي يصونها ويقيها شر العابثين ومرضى القلوب الذين لا يسلم منهم جيش ولا مجتمع

وخلاصة ذلك ان الإسلام منح المرأة انسانيتها المساوية لإنسانية الرجل مظهر ذلك في كثير من نواحي التشريع الإسلامي فكان دمها مساويا لدمه والحكم فيهما واحد وهو القصاص قال تعالى {وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس}. وبذلك كان في جزاء الآخرة في الاعتداء على حياة المرأة من نوع الجزاء في الاعتداء على حياة الرجل كما ان القرآن نزل واحدا في مسالة قتل الرجل خطأ وقتل المرأة خطأ {ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهلة}. وواضح أنه لا فرق بين وجوب الدية بالقتل الخطأ بين الذكر والأنثى وكذلك نجد ان القرآن الكريم لا يفرق بين الذكر والأنثى بينما حث الابناء على البر بالوالدين {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}

وفي سنة الرسول (ص) نجد انه ميز المرأة أكثر من الرجل فقد اجاب على سؤال أحد الرجال عن احق الناس بحسن الصحبة فقال امك وكررها ثلاث مرات ثم قال في الرابعة ابوك

ولم يحرم الإسلام المرأة من الحقوق المدنية فأباح لها التملك والتصرف فيما تملك وأباح لها توكيل غيرها فيما لا تريد مباشرته بنفسها وأباح لها أن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها وهذه منزل قد منحها الله سبحانه وتعالى للمرأة باعتبارها إنسان كامل الإنسانية منذ ان أشرقت الأرض بنور الإسلام. وإذا نظرنا إلى الحقوق التي منحها الله سبحانه وتعالى للمرأة في موضوع زواجها نرى انها حقوق تثبت مدى تقدير الشريعة للمرأة وكيف أن لها حقوقا قبل الزواج وفي فترة الزوجية وعند فصم العلاقة بين الطرفين فإذا ما جاء المرأة دور زواجها وهي بالغة عاقلة فإن لها ان تختار الزوج الذي تريده اختيارا حرا على ان يشترك معها وليها بالرأي والمشورة فيمن تختاره ولكن ليس له ان يجبرها على زوج معين وان اختار هو زوجا لا يتم زواجها إلا برضاها.

ويلزم الإسلام الزوج ان يقوم بتقديم مقدم صداق للمرأة ويعد منزل الزوجية ولا يحرم الإسلام ان تجهز المرأة بفاخر الثياب والزينة والأثاث والمتاع.

أما في مرحلة الزوجية فقد أعفى المرأة من اعباء المعيشة وألقى جميعها على كاهل الرجل واحتفظ للمرأة مع ذلك بحقوقها المدنية كاملة غير منقوصة فللمرأة المتزوجة في الإسلام شخصيتها الكاملة وثروتها الخاصة المستقلة عن شخصية زوجها وثروته ولا يجيز الإسلام لزوج ان يأخذ شيء من مال زوجته.

وفي مرحلة الزوجية يعطي الإسلام الرجل الحق في القوامة على زوجته وأسرته وقد بنى ذلك على سببين رئيسيين أحدهما ان الرجل مكلف بالإنفاق على الأسرة ولا يستقيم مع العدالة في شيء أن يكلف فرد الإنفاق على هيئة ما دون ان تكون له القوامة عليها والإشراف على شؤونها ، ثانيا ان المرأة مرهفة العاطفة قوية الانفعال وأن ناحية الوجدان عليها تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحي حياتها النفسية وقد سوى الله المرأة على هذا الوضع حتى يكون لها طبيعتها مما يتيح لها القيام بوظيفتها الأساسية وهي الأمومة والحضانة على خير وجه.

اما بالنسبة لميراث المرأة وشهادتها يرجع تفضيل الرجل عليها بالميراث انه مطالب بنفقات المعيشة ومطالب بدفع المهر لزوجته وعليه نفقتها وكسوتها وجميع ما تحتاج إلية بالمعروف وواجب علية ان يدفع العدة إذا ما طلق زوجته فهو إذاً مطالب بنفقته على نفسه وأولاده وعليها ومكلف بوالديه والأقارب إذا كانوا ضعافا أو فقراء .

أما موضوع الشهادة في قولة تعالى {فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان} ليس واردا في مقام الشهادة التي يقضى بها أمام القاضي ويحكم إنما هو وارد في مقام الإرشاد إلى طرق الإطمئنان على الحقوق بين المتعاملين في وقت التعامل فالمقام مقام التاكد من الحقوق.

كما أباح الإسلام تعدد الزوجات لأغراض عمرانية سامية وأغراض إنسانية نبيلة وأباح ذلك لضرورات حيوية لا يسع مشرع حكيم إلا ان يقيم لوزنها أكبر وزن في تشريعه وخاصة إذا كان يشرع لجميع شعوب العالم. كما هو الشأن في الإسلام وقد اوجب الإسلام على الزوج في حالة التعدد ان يعدل بين زوجاته واشترط على من يريد تعدد الزوجات ان يكون واثق بقدرته على هذا العمل وأمره في حالة خشيته من الجور ان يقتصر على واحد قال تعالى {وإن خفتم إلا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة او ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا ولكن العدل الذي أمره الله به مقصور على الامور التي يستطيع الرجل ان يعدل فيها بين زوجاته كالأمور المتعلقة بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت والوقت الذي يقضيه الرجل مع كل زوجة من زوجاته اما الأمور التي لا يستطيع الرجل بحسب طبيعتة البشرية أن يعدل فيها كالميل النفسي والحب وما يترتب على ذلك من آثار في العلاقات الخاصة بين الزوج وزوجته فلا تدخل في نطاق العدل المأمور به.

المرأة في التاريخ الاسلامي

رأينا كيف رفع الإسلام من مكانة المرأة كما ان رسول الله صلى الله علية وسلم كان يقول دائما استوصوا بالنساء خير لذلك فإن اول نفس بشرية آمنت برسالة محمد صلى الله علية وسلم هي خديجة أم المؤمنين والتي كان لمساندتها لرسول الله أكبر الأثر في دعمه وتثبيت عزيمته وقدمت المرأة خدمات جليلة للإسلام يتجلى ذلك فيما يروى عن رقيقة بنت سيفي حيث كشفت المؤامرة التي دبرها الكفار لقتل الرسول صلى الله علية وسلم قبل هجرته وأخبرته بأمرها فاتخذ حذره ونجا. كذلك عندما خرج النبي مع أبي بكر والتجأ إلى الغار وقامت أسماء بنت ابي بكر بتقديم الطعام له ولأبيها وتوافيهم بالأخبار وعُرفت بذات النطاقين وكانت النساء في الإسلام يرافقن الرجال في الميدان ويخدمن الجند ويقمن بمواساة الجرحى ومداواة المرضى بل ان منهن من حملن السلاح فانه لما دارت الدائرة على المسلمين في موقعة احد وكان الكفار ينالون من الرسول واستلت نسيبة بنت كعب سيفها واشتركت مع الصحابة في حماية النبي.

ولم تقتصر المرأة المسلمة على ما اظهرته من بسالة في الحروب بل تمسكت بحرية الرأى ولها في ذلك مواقف في التاريخ منها البلجاء وهي من زعماء الخوارج تثير طائفتها ضد عبيد الله بن زياد فأراد هذا الأمير قتلها وعرض عليها بعض أصحابها الهرب فرفضت ذلك فاستدعاها عبيد الله فذهبت إلية أشجع ما تكون نفسا فأمر بتعذيبها حتى ماتت.

وكان وفاء الزوجة لزوجها في الإسلام مضرب الأمثال فها هي نائلة زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما دخل الثائرون بسيوفهم على زوجها القت بنفسها لتحمية من الموت.

وفي المجال العلمي نجد المرأة المسلمة قد حذقت الادب والعلوم الدينية فالسيدة عائشة ام المؤمنين (رضي الله عنها) كانت أفصح اهل زمانها وأحفظهم للحديث فقد روت عن الرسول صلى الله علية وسلم الفين ومائتين وعشرة احاديث وتروي عنها الرواة من النساء والرجال.

أما السيدة عائشة بنت عثمان بن عفان فقد رثت والدها بعد قتله رثاء بليغا مؤثرا دل على تضلعها في الأدب. اما عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فكانت من نساء العصر الاموي اللاتي نبغنا في الأدب وعلوم النجوم وكذلك ام البنين زوجة الوليد بن عبد الملك وعرفت بالفصاحة والبلاغة وقوة الحجة. ومن شاعرات الإسلام ليلى الأخيلية وحميدة بنت النعمان.

اما عن النساء في العصر العباسي فقد برزنا بصورة كبيرة فقد كان لهن أدوار سياسية واجتماعية وعلمية ودينية. ويسجل التاريخ أسماء كثيرات ممن اشتغلن بالنحو وحفظن فيه الشيء الكثير كما نظمن الشعر. اما من اشتعلن بالفقه والحديث فعددهن لا يحصى ودأبت كثيرات منهن على التنقل بين بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من المدن الإسلامية شأن فقهاء ذلك العصر للسماع من كبار العلماء والمحدثين. وكثير من كبار المحدثين والفقهاء كابن عساكر وابن حجر لم يرو حرجا في الاعتراف بأنهم سمعوا من فلانة و فلان من المحدثات وإن بعضهن اجزن لهم فالحافظ بن كثير في دمشق يروى انه سمع عن ملكة بنت داود وأنها اجازت لها جميع حديثها وابن حجر في القاهرة يذكر انه على إجازتين الاولى من شمس بن ناصر الدين محمد والثانية من خديجة بنت العماد الصالحية.

تمتعت المرأة بقسط وافر من الحرية فقد تدخل بعضهن في شؤون الدولة وأصبح لهن دورا سياسيا بارزا مثل الخيزران زوجة المهدي وام الهادي والرشيد وكذلك السيدة زبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين فقد كان لها نفوذ كبير في سياسة القصر كما قامت بعمل اجتماعي وهي تسيل عين عرفت بعين زبيدة لتوصيل مياة الشرب إلى مكة المكرمة كما انها كانت شاعرة مثقفة تقرض الشعر وتناظر الرجال من وراء الستر.

كما أسهمت المرأة في هذا العصر في الحروب، فقد اشتركت أم عيسى ولبابة بنتا علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور وكن في عهد الرشيد يمتطين الجياد ويقُدن الجند إلى ميدان القتال.

وبرزت بعض النساء في العصر العباسي الثاني في المجال السياسي وتدخلن في شؤون الدولة كقبيحة ام المعتز والسيدة ام المقتدر وقهرمانتها ثومان وست الملك اخت الخليفة العزيز الفاطمي والسيدة صبح ام هشام بن الحكم في الاندلس.

ولعل اهم مثال في ذلك هي ام المقتدر والتي تمتعت بنفوذ كبير وليس أدل على نفوذها وتدخلها في شؤون الدولة بنفوذ أقوى من نفوذ الخليفة من ذلك الكتاب الذي بعث به إليها الوزير المصلح على بن عيسى يتنصل فيه من التصرفات التي نسبتها إلية في إدارة شؤون الدولة المالية وكان مصير هذا العزيز العزل رغم ما قام به من إصلاح هذه نماذج قليلة من نساء كثيرات برعن وظهرن في شتى المجالات مما يؤكد اشتغال المرأة في شتى العلوم وتدخل بعضهن في السياسة ومدى ما تمتعن به من نفوذ في الدولة الإسلامية عامة

==========

المحضرة الرابعة عشر

تابع النظام الاجتماعي الاسلامي

عناصر المحاضرة

١. التعاون والتكافل الاجتماعي
٢. **الرق وموقف الإسلام منه**

التعاون والتكافل الاجتماعي

عمل الإسلام على ضرورة القضاء على مظاهر الفقر في المجتمعات الإسلاميه وذلك لايتم الا بالتعاون والتكافل الأجتماعي.

والدارس للإسلام يرى ان الفقر مرض اجتماعي وليس قدرا مقدورا لاحيلة في دفعه بسعي او بكسب لقد امر القران الكريم بالسعي في الأرض قال :(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)

فلا يكون الفقر بعد ذلك الا لأحد أمرين اما كسل او خمول، وهذا لايقره الإسلام واما العجز عن العمل ومثل هذا الفقر الذي لا حيله للإنسان في دفعه هو الذي وضع له الإسلام من قوانين التكافل الاجتماعي ما يدفع بؤسه ويحفظ للفقير كرامته.

ومما يدل على نفرة الشريعه من الفقر قول صلى الله عليه وسلم (كاد الفقر ان يكون كفر) وكان من دعائه عليه السلام (اللهم أني أسألك التقى والهدى والعفاف والغنى)

وهذا أنتقال من موقف السلبيه تجاه الفقر الى الإيجابيه من عكسه وهو الغني وان في طلب الرسول للغنى هو قوة الزهاد في الدنيا لدلالة بعيده الأثر في هذا المقام.

وقد عمل الأسلام على حل مشكلة الفقر فشرع تشريعات تعمل على الحد من هذا المرض الاجتماعي فقد فرض الله سبحانه وتعالى الزكاة على عباده القادرين حلا لهذه المشكله. فقد جعلها الله اذن لتوفير العيش والطمأنينه للبائسين واذا امتنع الغني عن أخراجها اخذتها الدوله منه قهرا وجازلها ان تعلن الحرب عليه وقد جاء الإسلام بنظام الإرث وذلك للقضاء على تكدس الثروات في يد واحده وهو من عناصر الطغيان المالى الذي يثير في الجماعه حرب الطبقات ويعطي بذلك فرصه متكافئه للفقراء ليقفوا مع الأغنياء وفتح لهم باب العمل والكسب ولم يجعله محتكرا لطائفه فمن احيا ارض ميته فهي له ومن طرق باب لتجاره فربحها له ومن عثر في باطن الأرض على ركاز يدفع الخمس منه والباقي له ومن لم يجد عملا وجب على ولي الأمر ان يهئ له عملا، فأن لم يهئ له عملا او كان عاجزا او كان اجره لايكفيه، كان واجبا على ولي الأمر ان يرعاه وان يهئ له ماهو حق لكل مسلم او ذمي في ظل الدوله الاسلاميه. وقد جهل الأسلام نفقه الفقير العاجز واجبه على قريبه الغني وللحاكم اذا لم تكن الزكاه كافيه لسد هذه الحاجات ان يفرض على الأغنياء الضرائب الكافيه التي تقيم مصالح المسلمين. وقد قرر علماء المسلمين هذا المبدأ فأذا احتاج المسلمون فلا مال لأحد كذلك اوجب الأسلام على اهل كل قرية ان يلتزموا بسد حاجه فقرائها ان لم تكف الزكاة. وقد قرر ابن حزم ان من ولي الأمر يلزم الاغنياء من اهل كل قريه بذلك في هذا الحال. وهكذا اقام الاسلام العلاقه بين الغني والفقير علي اساس المساواه والعدل فهو يسوي بين الجميع في الحقوق والواجبات ويتيح الفرصه للجميع ليكتسبوا ويقول للأغنياء (أنفقوا من طيبات ماكسبتم) ويقول لولى الامر (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ويقول للفقير لا تحقد ولا تحسد، ثم يقول للجميع كونوا عباد الله أخوانا.

والمعروف في الإسلام انه اعطي للفقراء مالم يعطه دين أخر واهتم بهم اهتماما بالغا مالم يهتم به اي نظام أقتصادي عرف من قبل محاولا بذلك رفع الفقر عنهم لئلا يفسد المجتمع بوجود عناصر حاقده محرومه فيه فالفقر يدفع الى الكفر ولذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير الى الفقراء في اكثر من موضع قال عليه السلام (شر الطعام الوليمه يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء)

وكان صلى الله عليه وسلم يحارب مظاهر الغنى حتي لا يؤذي نفوس الفقراء معنى الحديث (لاتشربوا في آنية الذهب والفضه ولا تلبسوا الحرير والديباج)

وقد أمر الأسلام بإخفاء الصدقات التطوعيه وعدم إظهارها او المن بها ابتغاء شهرة او لظهور والا بطل ثوابها (يأيها الذين امنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)

والمعروف ان التعاون من اهم الوسائل التي تقضي علي ظاهرة الفقر في مجتمع من المجتمعات لأن التعاون والتكافل يؤديان الى خلق مجتمع سليم فالقران الكريم في سورة المائده يحدد التعاون على البر وقد جاء البر في القران بمعني حسن المعامله وطيب العشرة ومكارم الاخلاق والبعد عن الطغيان وفيه ورد قوله تعالى (وبرا بوالدتي ولم يجعلنى جبارا شقيا)

وجاء البر بمعنى الانفاق والبذل في سبيله تعالى وهو طريق الحق والخير والنفع قال سبحانه: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون).

وجاء البر بمعنى العباده من صلاة وزكاه. وجاء البر بمعني الدعوه الى التضامن في اعمال الخير وعدم التضامن في اعمال العدوان في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان)

والى جانب البر نجد الاسلام اعلن عن مبادئ كثيرة للتكامل الاجتماعي في نصوص كثيره من القران والسنه. فمن القران (إنما المؤمنون إخوة) فالدعوى التعاونيه في الاسلام قد عمت اكثر من ذلك فأمر ان يكون الخير بلا تحديد في نواحيه هو هدف المجتمع التعاوني ونري الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع احاديثه يدعوا الى هذا المبدء قال عليه السلام (الله في عون العبد مادام العبد في عون اخيه) (والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وبذلك تنوعت انواع التكافل في الاسلام فهناك التكافل الأدبي وذلك ان يشعر كل واحد نحو الاخرين بشعور الحب وحسن المعامله والتعاون في السراء والضراء. وقد دل عليه السلام (احب لاخيك ماتحب لنفسك)

وهناك التكافل العلمي فقد اوجب رسول الله عليه السلام على العالم ان يعلم الجاهل وعلى الجاهل ان يتعلم من العالم ويدخل ذلك بألا يضن العالم بعلمه على الناس وان يتكتم ما ادركه من اسرار الشريعه او الكون وهناك تكافل سياسي فقد قرر الاسلام ان لكل مواطن حقه السياسي وحقه في المراقبه والنصح لأولياء الامور لانه مسؤول عن مستقبل الامه وما كان كذلك فالمجتمع كله متكافل حتى تأييد السياسه الرشيده وانكار الفساد والانحراف فقد قال عليه السلام (كلكم راع مسؤل عن رعيته)

وهناك تكافل دفاعي وذلك ان كل مسلم في الدوله عليه ان يتكافل مع بقية مواطنيه بالدفاع عن سلامة البلاد وعليه النفير اذا غار عدو او مغير على ناحيه منها بحيث اصبحت الامه في حالة استنفار وفي ذلك قال تعالى (انفروا خفافا وثقالا)

ولايعفيه من هذا الواجب مقام ولامنزله الا ان يمون به عذر او مرض وبذلك نري ان الاسلام دين يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويهدف الى تكوين مجتمع صالح متعاون متكافل متراحم واذا كانت بعض المجتمعات الاسلاميه تسير الان في ظروف يعتريها فيها الفقر والحاجة مما جعل اعداء الاسلام ينالون على نظم الاسلام ويتهمونها فإننا نؤكد ان المسؤل عن ذلك ليس للأسلام ولكن سوء تطبيق النظم الاجتماعيه الاسلاميه

الرق وموقف الإسلام منه

كان الرق أمرا شائعا منذ قديم الزمان وكان معروفا في جميع الأمم القديمه خاصه عند اليونان والرومان كما ان التوراه اباحت الإسترقاق بطريق الشراء او سبيا في الحرب وكذلك المسيحيه سمحت بالرق وقد انتشر الرق عند العرب قبل الإسلام انتشارا كبيرا وكانت الحروب التى لاتنقطع في الجزيره العربيه وكان الغالب يأسر المغلوبين من يستطيع ليصبحوا عبيدا ومن وسائل الرق عند العرب القوة فإذا هاجمت قبيله قوية ضعيفه استسلمت الضعيفه للقويه وخضعت لها واصبح افرادها عبيدا.

ولكن الإسلام جاء ليحرر البشرية من عبوديه الرق واوصي بتحرير الرقيق وكما هى سنة الإسلام بعدم الإخذ بهذا المبدأ بالطفرة فقد عالج الرق بمحاولة إلغائه على مراحل لأن المجتمع العربي كان يعترف بهذا النظام ويسير عليه ومن الصعب ان يجئ الإسلام ويلغى هذا النظام ويحرر جميع العبيد الموجودين في العالم الإسلامي دفة واحده مما يؤدي الى ثورة السادة الكبار وتخلخل المجتمع وخلق مشكله جديدة هي الفئه المحرره

لذلك قضت الحكمه الإلهيه بأن يتدرج الإلغاء ورسمت له خطه محكمه تتألف من النقاط التاليه

١-لايرد في القران الذي هو النصوص الأصليه الأساسيه اي آيه تدل على الأمر بالاسترقاق او اتخاذ الاماء سرارى وان كان ذلك لا يمنع ان يتحدث القران عن هذا حديث من يعرفه ويقره كواقع ويرتب الاحكام الشرعيه على اساس واقعيته التى تقضى بالحكمة بأن تترك مؤقتا .

٢-تتكفل النصوص من الكتاب والسنه ببيان ان الرق واقع مكروه وتشريع ما يكفل تصفيته من العتق في مناسبات متعدده، لما عرض في سوق المعارضات ما يسع كل من في يدهم رقيق ليحرره وليأخذوا العوض المجزى لهم ومن صور تلك المعاوضات .

أ) العوض المالى: ذلك بأن يشتري العبد نفسه من سيده ومالك رقبته نظير مال يتفقان عليه فإن اتفقا على الثمن المطلوب أعطى السيد عبده كتابا بهذا يحدد فيه المال الذي كاتب عبده عليه ويسمى الرقيق في تلك الحاله مكاتبا لايتحرر من الرق حتى يؤدي المال الذي كوتب عليه، وقد دعا الإسلام الى هذه المكاتبه وجعلها امرا ملزما لمالك الرقيق اذا طلب منه الرقيق قال تعالى :

(والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا). وهي دعوة إلى مالك الرقيق ان ينظر في حاله وإن يتحرى قدرته على الحياة اذا هو تحرر من أسر الرق فإن بعض الأرقاء قد أفسد الرق وجودهم الإنساني، وفي خروجهم من يد مالكهم ضياع لهم.

ولما كان الرقيق المكاتب لايملك مالا، فقد جاء امر الإسلام الى المسلمين أن يهبوا لمساعدته وتخليصه من قيد الرق بتقديم المال المطلوب منه فقال تعالى:(وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) وقال تعالى (ولاكنّ البر من آمن بالله واليوم

الآخر والملإكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب) وقال تعالى (فلا اقتحم العقبه وما أدراك ما العقبه فك رقبه ، او إطعام في يوم ذي مسغبه ، يتيما ذا مقربه أو مسكينا ذا متربه)

ولم يكتف الاسلام في شأن الرقيق المكاتب بهذا بل جعل في الزكاة المفروضه في مال أصحاب المال من المسلمين نصيبا لهؤلاء المكاتبين قال تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها وفي الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله).

ب) العوض بما يقابل المال والجهد :

هناك اعمال يرتكبها المسلم مخالفا فيها شريعة الله فإذا أراد أن يكفر عنها كان كفارة ذلك مالا ينفقه في سبيل الله وعبدا يعتقه أو أياما معدودات يصومها فمن ذلك ، الحنث في اليمين كفارته كما يقول القرأن الكريم (إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم او تحرير رقبةٍ' فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذاحلفتم)

وهناك القتل الخطأ وكفارته كما نص القرأن الكريم (ومن قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله....)

وهناك الظهار وهو أن يقول الرجل لزوجه انت على كظهر أمى يريد تطليقها وتحريمها بهذا البدع من القول يقول تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهريين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا)

فهذه ثلاث وجوه ملزمه للمسلمين فتحها الإسلام لتحرير العبد من أسر العبوديه. وقد كان لهذه الوجوه اثر ظاهر في تحرير أعداد لا حصر لها من الرقيق

يقصر الإسلام مورد الرق على الأسر في حرب لإعلاء كلمة الله تعالى وفي هذه الحرب لايجوز للمسلمين أن يتخذوا أسرى حتى يثخنوا ، أى حتى يظهروا فيها وتعلوا كلمة الحق والتوحيد واذا اثخنوا في الحرب وانتصروا كان لهم أن يأسروا حينئذ ثم كان لأولياء الأمر الخيار فإما أن تمنوا عليهم منا فاطلقوهم تفضلا وإحسانا بغير مقابل وإما أن تتخذوا منهم فداء اي تطلقوهم بمقابل.

والخلاصه التي ننتهي اليها من هذا النص هي الوحيدة المتضمن حكم الأسر وسائر النصوص تتضمن حالات غير الأسر، وانه هو الأصل الدائم للمسأله وما وقع بالفعل خارج عنه لمواجهة حالات خاصه يمكن أن يكون لها دائم نظائر.

ويبقي الاسترقاق الذي كان لمواجهة اوضاع عالميه قائمه وتقاليد في الحرب عامه ولم يكن ممكنا ان يطبق الإسلام في جميع الحالات النص العام في الوقت الذي يسترق اعداء الاسلام من يأسرونهم من المسلمين منا وفادى ببعضهم أسري المسلمين وفادى بعضهم بالمال. وفي حالات اخرى وقع الاسترقاق لمواجهة حالات قائمة لا تعالج بغير هذا الاجراء.

تلك هي الخطه التي وضعها الإسلام لتصفية الرق وتضييق مداخله وتوسيع مخارجه ولاينبغى أن يؤخذ الاسلام بفعل المسلمين فيما بعد حينما كان الاسترقاق خارجا عن هذه الخطه في اي عصر من العصور الاسلاميه فإن ذلك مناف لروح الاسلام.

وقد راينا فيما ذكرناه من آيات ان الأرقاء قد فتح الله امامهم باب العتق لأن الإسلام يعتبر ان الرق ماهو الا امرا عارضا.

اما موقف الاسلام من الارقاء في حالة استرقاقهم فقد كان موقفا كريما اصيلا. فقد ذكرت احاديث كثيره عن رسول الله صللى الله عليه وسلم في هذا الشأن فما جاء في الحديث (ثلاثه يؤتون أجرهم مرتين ذكرتهم ورجل كانت له أمه فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها) وقال صلى الله عليه وسلم (من لطم مملوكا له أو ضربه فكافرته عتقه) وقال صلى الله عليه وسلم (ألا أنبئكم بشراركم قالوا نعم يارسول الله قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده).

وقد أوصي صلي الله عليه وسلم بالرقيق خيرا قال (اتقوا الله في الضعيفين ،المرأة والرقيق)

وقد أوصي الله سبحانه وتعالى بحسن معاملة الرقيق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتمى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ومامَلكت أيمانكم)

إن صنع الإسلام الذي اوجبه قبل ١٤ قرنا هو غاية ماتستطيعه الدول التى تصف نفسها بالمتحضره او رائده الحضارات في انصاف اسراها لان ما يحدث في الحروب.

التى يشنها الغرب على المسلمين وما يفعل بالاسري في السجون ليؤكد ان هؤلاء ينتمون للعصور البربريه والجاهليه والإسلام هو دين العتق وليس دين الرق.

==========